
عمر عباس
رحلة لـ ١٠٠ عبيط
STOP
رواية رعب
ساخر
عصير
الكتب


عصير
الكتب
للنشر و التوزيع



رحلة لــ 100 عبيط

رحلة لــ 100 عبيط

عمر عباس

تدقيق لغوي: **كمال اليماني**

تصميم الغلاف: **علي الأردني**

رقم الإيداع: 2014/26988

I.S.B.N: 978.977.85156.3.3

عصير الكتب للنشر و التوزيع



المدير العام : محمد شوقى

مدير النشر : على حمدى

لجنة فنية : د. إيمان الدواخلى

د. أحمد السعيد مراد / أ. كمال اليمانى

مدير التوزيع : عمر عباس

التجهيز الفنى : آية سعد الدين

هاتف : 01150636428

E-mail : p.bookjuice@yahoo.com

الطبعة الأولى , 2015م

رحلة لـ 100 عبيط

عمر عباس

رواية



عصير الكتب للنشر و التوزيع


عصير
الكتب
للنشر و التوزيع

إهداء

إلى كلٍّ من آمنَ بي في وقتٍ ما، قائلًا: تستطيع، إلى كلّ من رأى فيّ الموهبةَ للكتابةِ وشَجعني لخروج هذا العمل إلى النور، إلى كل من اقتنى هذا الكتاب أو يقرؤهُ إلكترونيًا، بدونك بعد توفيق الله، ما كنتُ لأكون ..

عمر عباس


عصير
الكتب
للنشر و التوزيع

إهداء خاص

" إلى من وَهَبَتْني السعادةَ، فوَجَبَ مني الوَفَاء "

لا زلتُ على العهدِ


عصير
الكتب
للنشر و التوزيع

في يوم ما، بينما كانوا يجلسون سويا يتسامرون، وَضعَ مفتاحًا صغيرًا في يَدِه، ثُمَّ قال له:

. حافظ على المفتاح ده كويس، هتحتاجه في يوم من الأيام



الفصل الأول : الرحلة

رَنَّ جَرسُ الهاتفِ على نغمة أغنية " مش هروح .. مش هروح " استيقظَ "عماد" وهو يتمتمُ بكلماتٍ غير مفهومةٍ من ضِمنها " لا مش هروح..."

اعتدل في سريره جالسا ، بحث عن هاتفه المحمول بين ثنايا الغطاء مالبث أن وجده، نظر إلى شاشته فآذت الإضاءة عينيه , أغلق إحداهما.. ضغط على زر الرد، ثم قال متثائبا وهو يريح رأسه مرة أخري علي الوسادة

. الووو!

ليجيب الطرف الآخر باكيا:

. أيوة يا "عماد"!

. مالك يا "فتحي"، بتعيط ليه ؟

. مات يا "عماد"، خلاص مات .

انتفض جالسا في سريره قائلا:

. هو مين اللي مات ؟ أبوك .. أمك .. حد من إخواتك ؟

. فال الله ولا فالك!

صرخ "عماد":

. أمال مين اللي مات انطق ؟

. أبو جدي يا "عماد" هو اللي مات .

حاول "عماد" أن يتماسك قليلا ثم قال:

. وهو كان لسه عايش ؟

. أيوة يا عم كان لسه عايش لحد امبارح، صحته كانت زي الفل وكان قاعد معايا بيحكيلي عن اللي حصل لما الإنجليز دخلوا مصر.

تساءل "عماد" مُندهشا :

. الإنجليز دخلوا مصر! ليه يا "فتحي" هو عنده كام سنة ؟

. 92 سنة .

ليضيف "عماد" وكأنه يتحدث إلى نفسه:

. 92 سنة وزعلان !

ما لبث أن استدرك نفسه قائلا :

. إحم، البقاء لله يا "فتحي"

تساءل "فتحي" مستنكرا :

. بتقول حاجة يا "عماد" ؟

ارتبك "عماد" قليلا ثم قال:

. لا ولا حاجة! بقولك البقاء لله، انت فين دلوقت ؟

ليجيب "فتحي" باكيا وكأنه تذكر الوفاة من جديد ..

. أنا في البلد دلوقتي، ما انت عارف إني مسافر من أول أمبارح !

صمت "عماد" قليلا , لا يدري ما يقول، فهو للمرة الأولى يسمع صوت بكاء صاحبه، قام بعدها من على سريره مُتجها إلى مكتبه، محاولا ألا يدوس على إحدى الأكواب المتناثرة بجانب سريره .. قلب بين دفاتره سريعا حتى وصل إلى ورقة بيضاء في أحد الدفاتر، أمسك أحد أقلامه ثم قال في حماس:

. طيب خلاص اهدى .. هات العنوان بتاعك .. علشان أجيلك .

مسح "فتحي" دموعه قائلا :

. خلاص يا "عماد" مش مستاهله .

ليقاطعه "عماد" قائلا :

. انت أخويا يا "فتحي"، مينفعش أسيبك في حاجة زي دي .

صمت "فتحي" قليلا ثم قال شاكرا :

. أصيل يا "عماد"، انزل عندي البلد .اسأل على " 100 عبيط "

. مين دول ؟

أجاب "فتحي" بحده :

. اخلص يا "عماد" .. عزبة " 100 عبيط " .. جنب كفر " فقر ".

تساءل "عماد" وكأنه يتحدث إلى نفسه :

. إيه الأسماء دي ؟

دوّن العنوان على الورقة التي أمامه ثم عاد مرة أخرى إلى سريره مُحدثا "فتحي" بأسى قائلا:

. على العموم يا "فتحي" شد حيلك والبقاء لله، لو احتجت حاجة كلمني، وأنا هجهز حالا وجايلك على طول.

"فتحي" شاكرا :

. متحرمش منك، مع السلامة.

أَنهى "عماد" المكالمة مع صديقه "فتحي"، نظر إلى غرفته المُهمله .. ثم وضع رأسه على الوسادة محدثا نفسه:

. خمس دقايق بس، وهقوم البس وأنزل .

وغَطّ بعدها في نومٍ عميق ، ليستيقظ بعد مرور أربع ساعات !

***

. يا نهار أبيض ! .. العزا .. "فتحي" .. الجنازة .. أنا اتأخرت!

"عماد" نور الدين، 22 سنة، كلية التجارة، السنة الأَخيرة، يَعيشُ وحيدًا ؛ نظرًا لظروف سفر أبويه للعمل بالخارجِ، شابٌ على قدرِ كبير من الاحترام، خجول لدرجة احمرار وجنتيه عند التحدث مع زميلاته الفتيات، أبيض البشرة، عيناه بنيتان , طويل بالنسبة لمن هم فى نفس سنِّه، لديه " تفاحة آدم " . شابٌ عادي، ولكن مشكلته الوحيدة بجانب شعوره بالخجل فى كثير من الأحيان، أنه يخاف، لذلك وَجَدَ من "فتحي" - صديقه العزيز- الأخ والونس في غياب أبويه .

"فتحي" محمد عبد التواب، تعرف على "عماد" في السنة الأولى بالكلية، قامتْ صداقة كبيرة بينهما، انتقل بعدها للعيش مع "عماد" ، وفتحي ضخم الجثة ، أقرب إلى البدانة ولكنه مُسالم، قمحي اللون، حليق الذقن باستمرار ، تكاد تشعر أن ذقنه لم تنبت مطلقًا .

ارتدى "عماد" ملابسه سريعًا، وتأكد من وجود كل شيء يحتاجه داخل الحقيبة، شعوره المتكرر بأن هناك شيئًا ناقصًا يزداد كلما أوشك على الرحيل .

. ليكن ما يكون .

قالها "عماد" ثم أغلق الحقيبة، وانطلق في رحلته سريعًا إلى " 100 عبيط "

***

في الطريق..

جلس "عماد" بجانب السائق، وهي عادة حاول الحفاظ عليها كلما اضطر للسفر، يتابع "عماد" الطريق بلهفة، ويتمنى الوصول سريعا.

. بقولك إيه ياسطى، ما تشد حيلك شوية .

قالها "عماد" ليجيبه السائق مقهقها :

. أخاف ليتقطع، اهاهاهاها.

. ياسطى بتكلم بجد، عندي عزا ومتأخر عايز الحق الناس .

نظر اليه السائق مُصطنعا شعوره بالضيق من أسلوبه في الكلام ثم قال :

. لا إله إلا الله! لمؤاخذة يا رايق، العربية لسة معمولها عَمرَة .. وأخاف على الموتور يحصله حاجة

تشمم "عماد" الهواء ثم قال بحماس :

. طب على فكرة أنا شامم ريحة شياط من الصبح ومكونتش عايز أتكلم .

سحب السائق نفسًا عميقًا من السيجارة التي في يده وهو يغلق إحدى عينيه . نَفث الدخان ، ونظر ل"عماد" ثم قال بثقة:

. لا متخافش مفيش ريحة شياط ولا حاجة ، دي سجارة البانجو!

"عماد" مُندهشا:

. بانجو ! .. انت بتشرب بانجو كمان وانت سايق ؟

نظر السائق إلى "عماد"، قائلا بجزع :

. يا عم اهدى .. وطي صوتك لا الناس تخاف ولا حاجة .

تساءل "عماد" مُندهشا :

. مش أحسن ما اخاف أنا لوحدي ؟

. يا عم متخافش العُمر واحد والرب واحد ، وبعدين كل الناس بتقولك البانجو ده بيخليك غبي ، أنا بقى بشرب البانجو علشان أركز؛ أقولك على حاجة ؟

"عماد" بنفاذ صبر :

. اتفضل !

صَمَتَ السائق قليلًا ثم قال:

. نسيت بصراحة، بس متقلقش يعني إن شاء الله خير !

ثم أضاف :

. انت قلتلي اسمك ايه ؟

. "عماد" .. "عماد" نور الدين .

. ماشي يا عُمدة محسوبك " مرعي حوادث "

. قلتلي بقى الفرح ده فين ؟

اتسعت عينا "عماد" من الدهشة ثم قال:

. فرح إيه ياسطى ! بقولك عزا !

. طب خلاص براحة عليا ، فين العزا ده ؟

. " عزبة 100 عبيط"

السائق مقهقها :

. اهاهاهاها ، عارفها عارفها ، حد يروح " 100 عبيط " دلوقت ؟

تساءل "عماد" بقلق :

. أمال أروحها إمتي ؟

. دي تروحها الصبح. ساعتين كمان عقبال ما نوصل ومش هتلاقي حد في الشارع، انت مسمعتش عن اللي بيحصل هناك ولا إيه ؟

"عماد" مستنكرا :

. لا والله مسمعتش إيه اللي بيحصل ؟

أجاب السائق بعدما أخذ نفسا آخر من السيجارة التي بين أصبعيه .

. بيقولك لقوا عيلين في ترعة ، واحد من غير دماغ في حتة . والتاني من غير جسم في حتة تانية

"عماد" ساخرا:

. طب ما يمكن عيل واحد وانتوا اللي مش عارفين تجمعوه، صح ؟

. شوفت بقى؟ انت اللي بتهزر دلوقتي أهو، بعدين دي مش أول مرة ، الموضوع ده بيتكرر بقاله شهرين، كل شوية يلاقوا حتة من عيل وميلاقوش الباقي ، ده غير اني سمعت إن " النداهة " نزلت كفر " فقر " يعني كلها يومين وتلاقيها في " 100 عبيط " ده إذا مكنتش وصلت هناك !

بوووووم .. (صوت انفجار) .

. إيه اللي بيحصل ده !

" أصوات تكبير من أحد الركاب اختلطت بكلام غير مفهوم من الركاب الأخرين "

. عاجبك كده، قعدت تقولي شد حيلك شد حيلك، أدي الكاوتش فرقع ، اصبر بقى لحد ما أغيره .

قالها السائق.. ثم وجه حديثه للركاب الآخرين:

. متقلقوش يا جماعة محصلش حاجة ده الكاوتش فرقع، خمس دقايق هغيره ونكمل الطريق

***

"مش هرووووح .. مش هرووووح"

. الووو .. (قالها "عماد" ليجيب الطرف الآخر متسائلا)

. أيوة يا بني اتأخرت ليه كده ؟

. معلش يا "فتحي" هانت كلها ساعتين إن شاء الله وأكون عندك .

. انت بتهزر يا "عماد" ، أنا مكلمك من 4 العصر، انت كده هتوصل بعد الساعة 12!

نظر "عماد" في مرآة السيارة على يمينه ليشاهد السائق، وهو يغير إطار السيارة، ثم قال:

. معلش يا "فتحي"، الطريق كان صعب، وركبت مع سواق مسطول اسمه حاجة كده حوادث، ده غير ان الكاوتش فرقع، وربنا يستر.

. طب خد بالك من نفسك، ولما توصل كلمني .

. إن شاء الله .

. سلام أنا دلوقتي علشان أنزل اشوفهم محتاجين إيه .

أنهى "عماد" المكالمة مع "فتحي" ونزل من السيارة ليساعد السائق في تغيير الإطار، اصطدم بنسمة هواء بارد ، تحسس بأصابعه كرة صغيرة في نهاية مقبض السوسته، ثم أغلق الجاكت الذي يرتديه قليلا.

أصوات مختلطة من نباح الكلاب، وعواء البعض الآخر، امتزجت بصفير مجموعة من صراصير الحقول .

على ضوء القمر المكتمل وبعض أعمدة الإنارة، يظهر الطريق الذي يقطع الأراضي الزراعية على امتداد البصر .

اقترب "عماد" من السائق قائلًا بحماس :

. بقولك إيه ياسطى؟ الحوار اللي كنت بتحكيلي عنه ده حقيقي ؟

أجاب السائق غير مُهتم :

. أنهي حوار ؟

ليسارع "عماد" مرة أخرى بالسؤال وهو ينظر حوله، وكأنما يبحث عن شيء ما :

. بتاع العيال اللي بيلاقوهم متقطعين ؟

نظر السائق إلى "عماد"، ثم تساءل متعجبا :

. انت مبتقراش جرايد ولا إيه ؟

أجاب "عماد" بهدوء :

. لا والله مش متابع .

. على العموم الحكومة عاملة اللي عليها ومغطية على الخبر، كل اللي نشرته الحادثة اللي حكيتلك عنها وكتبوا تحتها (جاري البحث عن الجاني) والناس كده كده مبتتكلمش عن الحوار .

"عماد" مُتسائلا بلهفة :

. ليه يعني ؟

. خايفين، بيقولوا اللي بيعمل كده لا يمكن يبقى بشر!

. هيكون مين يعني؟ " النداهة "؟ قالها "عماد" ضاحكا .

اتسعت عينا السائق ونظر ل"عماد" بحدة :

. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بص يابني الحاجات دي مبتتقالش هنا ، اختار المكان اللي تتكلم فيه عنها، الحاجات دي بتحضر على السيرة .

من بعيد.. شعر "عماد" أنه يرى فتاة تطل من خلف شجرة تنظر إليه، لحظات ثم اختفت ، فأردف قائلا :

. بتقول إيه ياسطى ؟

. بقولك يالا علشان خلصت!

***

"بعد مرور ساعتين "

. حمدا لله على السلامة يا عُمدة .. وصلنا " كفر فقر "

انزل هنا هتمشي شوية .. أول شارع يقابلك يمين تخلصه لحد ما تلاقي أرض زراعية بعدين تدخل منها شمال وتمشي لحد الآخر، أو استنى هنا خدلك مواصلة تدخلك لحد " 100 عبيط" .

ترجَّل "عماد" من السيارة وهو يحمل الحقيبة على كتفه، بحث بعينيه عن أي شخص ليتأكد من وجهته فلم يجد، اتصل بـ"فتحي" أكثر من مرة ولكنه لم يجب على اتصاله، أرسل رسالة نصية مضمونها " أنا وصلت كفر فقر دلوقتي يا "فتحي"، كلمتك أكتر من مرة، لما تشوف الرسالة كلمني " .

لحظات انتظار مرت على "عماد" ما بين محاولات اتصال بـ"فتحي" وما بين بحثه عن أي وسيلة مواصلات.

استسلم "عماد" في النهاية وانطلق سيرًا على الأقدام ..

"بعد مرور ما يقرب من عشر دقائق سيرًا على أقدامه،على طريق وعر بين بنايات منها ما بُني من الطين والصفيح، ومنها ما بُني بالطوب الأحمر، وجد "عماد" مجموعة مكونة من ثلاثة أشخاص يرتدي كل منهم جلبابًا أبيض، يجلسون أمام كوخ من الخوص يصنعون دائرة حول شعلة من نار علَّها تخفف عنهم برودة المساء وفي يد كل منهم كوب من الشاي"

. سلاموا عليكوا ..

قالها "عماد" ليجيب عليه أحد الأشخاص:

. عليكم السلام، اتفضل ..

. أنا كنت عايز اسأل على " عزبة 100 عبيط " ؟

ليسأله نفس الرجل مرة أخرى :

. عايز مين في " 100 عبيط " ؟

أجاب "عماد" :

. رايح لواحد صحبي اسمه "فتحي"، "فتحي" محمد عبد التواب، تعرفه يا حاج ؟

قال الرجل ضاحكا :

. أعرفه ! ده حبيبي، لما توصل بالسلامة قوله الحاج " "فضيلة" " بيسلم عليك .

"عماد" مبتسما:

. من عنيا يا حاج ، قولي بقى أروح إزاي ؟ أنا من ساعة ما جيت هنا وأنا مش لاقي حد أكلمه .

قال "فضيلة" ساخرا:

. لا ما كل الناس في بيوتها دلوقتي - بعيد عنك - خايفين من " النداهة"

. هو مش المفروض برضو ما حدش يقول اسمها كده علشان الحاجات دي بتحضر على السيرة ولا إيه ؟

قهقه " "فضيلة" " قائلًا :

. الكلام ده كان زمان ، دلوقتي مبقاش يفرق معانا .. ما تقول حاجة يا حاج " ميلاد " ولا نقول يا أبونا؟

اعتدل " ميلاد " في جلسته وبدأ في التعريف عن نفسه :

. " ميلاد غالي " تقدر تقول عليا أكبر واحد في كنيسة "كفر فقر" مش أكبر واحد في المكانة ، أكبر واحد في السن، قالها ضاحكا ليجيب " "عماد" ":

. اتشرفت بحضرتك ، بس انت شكلك صغير يعني متكملش 50 سنة .

أجاب ميلاد:

. لا أكبر من كده شويتين ، ولاا! يا " حسن " اعمل لعمك"عماد" كوباية شاي معانا.

نظر "عماد" إلى طفل صغير يرتدي بنطالا قصيرًا، وقميصًا رياضيًا بدون أكمام، أزرق اللون ، يضع بعض الحطب على النار ، ثم التفت مرة أخرى إلى "ميلاد" قائلا :

. ربنا يكرمك يا عم ميلاد، قولي بس أروح إزاي " 100 عبيط " ؟

أكمل " ميلاد " كلامه متجاهلا سؤال "عماد":

. أصل الواد " حسن " على الرغم من إنه صغير زي ما انت شايف إلا إنه عفريت، شاطر في كل حاجة .

. ربنا يخليهولك يا عم ميلاد .

قالها "عماد" ليجيب " ميلاد " ضاحكًا:

. بقولك حسن تقولى يخليهولك ، ده حسن بن الحاج " سعيد " الصياد، على العموم قدامك حل من اتنين ؛ يا تستنى هنا لحد الصبح، علشان مش هتلاقي مواصلة تدخلك لحد العزبة ،

أو تدخل الأرض الزراعية دي اتمشى فيها لحد الآخر هتلاقي نفسك بقيت في " 100 عبيط " .

وبحكم تأخر "عماد" على العزاء، وصعوبة قضاء الليلة مع أشخاص لا يعرف عنهم غير أسمائهم ، قرر "عماد" أن يدخل

الأرض الزراعية بعدما حاول الاتصال مرة أخرى ب"فتحي" ولكنه لم يحصل على أي رد .

شكر "عماد" ("فضيلة" و "ميلاد ") على حسن ضيافته، ثم انطلق في وجهته إلى 100 عبيط ..

ومع أول خطوة يخطوها داخل الأرض الزراعية استمع "عماد" لصوت الحاج " "فضيلة" " وهو يصيح: " خد بالك ".

كانت تلك الجملة كفيلة ليعيد التفكير في قراره مرة أخرى.

التَفَتَ "عماد" ليجد "فضيلة" يتحدث مع " حسن " الطفل الصغير:

. عاجبك كده! الشاي وقع على الجلابية، علشان قلتلك بطل لعب ومسمعتش كلامي .

***

ولكن .. على ضوء شاشة الهاتف المحمول، بدأ يخطو "عماد" بضع خطوات داخل الأرض الزراعية، لتبدأ مجموعة من الأسئلة تدور في ذهنِه وكان أهمها:

كيف عرف " ميلاد " أسمه ؟

" ولاا يا " حسن " اعمل لعمك ""عماد"" كوباية شاي معانا .. "

. ممكن أكون قلت اسمي وأنا مش واخد بالي !

قالها "عماد" محدثًا نفسه .

لماذا يرتدي الطفل ملابس خفيفة في هذا الوقت من العام؟

التفت "عماد" ينظر مرة أخرى إلى الكوخ، ليجد الكوخ خاليًا، لا يوجد " ميلاد " ، لا يوجد " "فضيلة" ، ولا حتى الطفل!

" عاجبك كده ! الشاي وقع على الجلابية أهو، علشان قلتلك بطل لعب ومسمعتش كلامي .. "

تساءل " عماد " محدثا نفسه :

. للدرجادي لحقوا يمشوا، وطفوا النار كمان ؟

تلاقي "فضيلة" راح يغير هدومه، و" ميلاد " هيوصل " حسن " لأبوه.

على ضوء القمر، وقليل من الضوء الذي يصدر من شاشة الهاتف المحمول، بدأ "عماد" رحلته داخل الأرض الزراعية والتي امتدت على مسافة طويلة يكاد يشعر أنها لن تنتهي .

بعد مرور دقائق من الصمت إلا من بعض أصوات الصفير غير المنتهي من سكان الأرض الزراعية من الصراصير، وكثير من نَقِيقُ الضفادع واللذان اختلطا مع صوت وقع أقدامه على

الأرض، شعر "عماد" أن هناك صوتًا أخر منتظم - إذا أصغيت بحرص - يبدو وكأن هناك شخص آخر يسير وراءه .

نظر "عماد" خلفه ليبحث عن مصدر الصوت، ولكنه لم يجد أحدًا .

وقف قليلا فتوقف الصوت، دار حول نفسه باحثًا عن مصدرِ الصوت ولكنه لم يجد شيئًا، أكمل طريقه ليستمع إلى نفس الصوت مرة أخرى، فما كان منه إلا أنْ توقف ثانية وبحث حوله للمرة الثانية، ليتوقف الصوت من جديد، عاد مرة أخرى ليكمل طريقه، ليظهر نفس الصوت مرة أخرى، ازدادت مخاوفه وبدأت الأفكار تقفز في مخيلته، هناك شخص ما يتبعني منذ دخولي إلى هذا المكان، ماذا يريد مني ؟ هل يريد قتلي ؟

حاول "عماد" أن يسرع في خطواته، ليجد أن وتيرة الصوت تزداد، أبطأ الخطى ونظر خلفه، ليجد أن وتيرة الصوت أصبحت أبطأ .

توقف .. نظر حوله .. نادى بصوت عال:

. " في حد هنا!!!!!! ؟ "

ليرد عليه صدى صوته بكل برود: " هنا .. هنا .. هنا.. "

حاول أن يبحث عن مصدرٍ لصوت الخطوات المنتظمة، ليجد أن الصوت اختفى مرة أخرى .

على الضوء الذي يصدر من شاشة التليفون المحمول، انحنى "عماد" وحاول أن يبحث عن آثار أقدام بخلاف آثار أقدامه، فلم يجد شيئًا.

قام مرة أخرى ليكمل رحلته داخل الأرض الزراعية، فما كان من الصوت إلا أن عاد مرة أخرى، في هذه اللحظة شعر بنسمة من الهواء البارد تسري على عنقه، ليقشعر بدنه وتزيد من حالة الخوف التي تجتاحه، التفت "عماد" ينظر وراءه وامتدت يده إلى سوستة الجاكيت ليغلقه بأحكام، وكانت المفاجأة توقف الصوت، لينتبه "عماد" إلى أنّ مصدر الصوت ناتج عن نقر مقبض السَحَّاب (السوستة) ذو الكرة المعدنية على اسنان الجزء الشريطي منها .

شعر "عماد" بمدى تفاهته، ثم ابتسم للمرة الأولى منذ دخوله إلى الأرض الزراعية

. السوستة التي قتلت الملايين " قالها ضاحكًا "

ما لبث أن انتفض من مكانه، حين شعر بوجود شيء ما يتحسس قدميه، تراجع إلى الخلف خطوتين، نظر إلى أسفل ، ليُفاجأ "عماد" بقطة سوداء صغيرة يبدو عليها البرد، كانت تحاول الحصول على بعض الدفء عن طريق الاحتكاك

بإحدى قدميه، نظرت إليه القطة ثم أصدرت صوتَ مُواءٍ ضعيف .

. وانتي طلعتيلي منين دلوقتي هي ناقصة قطط ؟

قالها "عماد" باستهانة ثم أضاف :

. أنا كان مالي ومال المشوار ده من الأول، ما كنت نايم في بيتنا ومبسوط وبعدين بيقولك أبو جده، يا ريته كان جده حتى، إيه العمل دلوقت ؟

اقترب من القطة ثم انحني ليعطف عليها، ما أن أمتدت يده إليها حتى أصدرت القطة صوتًا غريبًا، وكأنّها تستعد للدخول في معركة مع قطٍ آخر، انتفض شعر جسدها، زمجرت وانطلقت تجري بعيداً .

اعتدل "عماد" وهو يصيح ببضع كلمات محدثًا القطة :

. تصدقي أنا غلطان، ابقي شوفي بقى مين هيدفيكي من البرد، وأقولك على حاجة؟ معايا أكل في الشنطة، كنت هديلك منه، خسارة فيكي .

أكمل "عماد" تلك الكلمات وهو ينطر على يمينه لينتفض مرة أخرى، ويتراجع خطوة للوراء، فتح "عماد" فاه من هول المفاجأة، واتسعت عيناه حينما فوجئ بأبشع مشهد ممكن أن يراه في حياته.

رجل يرتدي جلبابًا أبيض مُتسخا، مقطوع الرأس، يقف على بعد خطوات منه داخل الحقل، وقفة على قدر كاف من الثبات.

مال الرجل إلى الأمام، ثم عاد للخلف وكأنه سكران، فانتفض "عماد" ثم رفع قبضتيه أمامه وكأنّه يستعد لحماية نفسه .

الضباب يملؤ الحقل، يتخلل بين ذراعي الرجل، فيبدوا وكأن الرجل هو الذي يحركه أو يتلاعب به، يزداد الموقف بشاعة حينما هبطت بومة من السماء، لتقف على كتف الرجل، فازدادت دقات قلب "عماد"، وشعر أن قلبه سيتوقف عن العمل، حاول أن يستجمع ما تبقى من أنفاسه، مرددًا بعضًا من آيات القرآن الكريم، والكثير من الأدعية .

وعلى الضوء القادم من القمر، حاول "عماد" أن يدقق في تفاصيل المشهد ، ليكتشف أن الرجل مقطوع الرأس ماهو إلا خشبة على شكل صليب، وضع عليها عباءة قديمة، لتقوم بدور خيال المآته " الفزاعة ", أخذ "عماد" نفسًا عميقًا ، حمد الله كثيرا، وابتسم مرة أخرى، وهو يبحث عن مكان يجلس فيه قليلا ليستريح من الصدمة وعيناه لا تفارقان " الفزاعة " .

مرت لحظات قليلة، وهو مازال في وقفته يبحث عن المكان الذي سيجلس فيه، حتى سمع ذلك الصوت، صوتا

قويا صارخا يشق سكون الليل، التفت "عماد" يبحث عن مصدر الصوت فإذا به يفاجأ بكتلة كبيرة من الضوء تتجه ناحيته، الحركة سريعة والصوت واضح .

استعاذ "عماد" بالله من الشيطان الرجيم، وانطلق يعدوا داخل الأرض الزراعية آملًا في الوصول إلى الجهة الأخرى .

استمر الصوت يلاحقه، ليدرك "عماد" أن هذا الشيء يحاول النيل منه،

" يارب ساعدني , إيه الشئ ده ؟ هي العفاريت شكلها كده؟ إيه الصوت ده ؟ "

كانت تلك الأسئلة تدور في ذهنه .

نظر خلفه نظرة خاطفة ليجد أن هذا الضوء يقترب منه بسرعة كبيرة . ظهر ل"عماد" ما يبدو أنه نهاية الطريق، استجمع ما بقى من قواه وحاول ألا ينظر خلفة مرة ثانية، استمر يركض حتى انقطعت أنفاسه، جرى كما لم يجر من قبل، كلما اقترب من النهاية ازداد أمله فى النجاة، ما هى إلا دقائق قليلة حتى وصل لنهاية الطريق، ليظهر أمامه "فتحى" صديقه، لم يصدق "عماد" نفسه، شعر بسعادة كبيرة اختلطت بأكبر كمية خوف حصل عليها في حياته .

. أجرررري يا "فتحي"، أجري بسرعة . (صاح بها "عماد" ليجيب "فتحي")

. في إيه يا "عماد" ؟

. أجري بس وهقولك بعدين .

أمسك "عماد" ذراع "فتحي" ثم نظر خلفه للمرة الثانية منذ طارده هذا الشيء، لتصطدم رجله بحجر، فيختل توازنه، ليسقط "عماد" على الأرض و"فتحي" بجانبه ويمر ذلك الشيء الذي كان يطارده.

. إيه ده ؟ موتوسيكل .

قالها "عماد" ليجيب عليه الشخص الذي كان يطارده :

. قوم يا بطل ، م يقع إلا الشاطر .

. انت اللي بتجري ورايا طول الطريق ؟

. أجري وراك مين يا عم ده طريقي، انت اللي من الصبح شكلك مش مظبوط، انت تعرف الراجل ده يا "فتحي" ؟

أجاب "فتحي" بحماس :

. أيوة يا " كرشة " ده "عماد" صاحبي .

. طب خد بالك منه يا "فتحي" لحسن شكله مش مظبوط!

تساءل فتحي مندهشا :

. مش مظبوط إزاي يعني ؟

. أبدًا من شويتين نزلت اشتري شوية حاجات .

لقيته قاعد قدام الكوخ الخوص بتاع عمك " ميلاد " الله يرحمه، وعمال يكلم نفسه!

قاطعه "عماد" ببراءة :

. هو مين ده اللي الله يرحمه ؟

ليجيب "فتحي" باستهانة :

. متشغلش بالك، ده واحد اسمه ...

. " ميلاد غالي؟ " صاح بها " "عماد" " ، ليكمل "فتحي" مُندهشا :

. ايوة " ميلاد غالي " عرفت منين ؟!

ليستكمل "عماد"كلامه بانتصار :

. كنت قاعد معاه من شوية، حتى بالأمارة في واحد أسمه الحاج " "فضيلة" " باعتلك السلام معايا

. انت بتهزر يا "عماد" ؟ قالها "فتحي" متعجبا.

. أهزر مين يابني، دول عزموني على شاي وعلشان متأخرش عليك أكتر من كده مرضيتش أشربه، دول حتى كانوا عايزيني أبات معاهم !

قاطعهم " كرشة " باستهانة , مُشيرا نحو " عماد "..

. مين ده يا "فتحي"، وبيقول إيه، ده شاكله شارب حاجة !

أشار "فتحي" إلى كرشة ليصمت، ثم أكمل كلامه:

. استنى بس، يعني انت عايز تفهمني يا "عماد"، إنك كنت قاعد بتشرب شاي مع عم " ميلاد " الله يرحمه وأبو جدّي ؟

أجاب "عماد" بثبات :

. أنا مالي بأبو جدك ياعم، بقولك عم " ميلاد " والحاج "فضيلة" .

ليصيح "فتحي" بحزم :

. ما هو أبو جدي اللي العزا بتاعه شغال دلوقتي، هو ده الحاج " "فضيلة" " !

نظر "عماد" إلى ("فتحي" و "كرشة")، ثم وجه كلامه إلى "فتحي" منزعجا :

. إيه الجنان ده ؟ وبعدين انت عرفت إزاي إن أنا هنا ؟

أجاب "فتحي"، وهو ينفض بعض التراب من على بنطاله:

. أنا معرفش إنك هنا، كل الحكاية إني شوفت الرسالة اللي انت بعتهالي.

" أنا وصلت كفر فقر دلوقتي يا "فتحي"، كلمتك أكتر من مرة، لما تشوف الرسالة كلمني.

حاولت أكلمك تليفونك كان مُغلق، نزلت علشان أجيبك من كفر " فقر " زي ما انت بعتلي في الرسالة، لقيتك في وشي.

سكت "عماد" قليلًا محاولًا استيعاب كلام "فتحي" ثم قال بهدوء :

. بقولك إيه يا "فتحي"، يالا بينا من هنا علشان أنا أعصابي تعبت قوي النهاردة ومبقتش فاهم حاجة !

. طب يلا بينا يا عُمدة، نفض هدومك وحمدلله على السلامة.

صحيح انت كنت بتجري كده ليه ؟

أشار "عماد" نحو " كرشة " قائلا بحزن :

.كنت فاكره عفريت !

ضحك "فتحي" بصوت عال ثم قال ..

. طيب المرة الجاية لما يجري وراك عفريت، إبقى إرمي الشنطة علشان تبقى خفيف، وتعرف تجري أسرع !

نظر "عماد" إلى الحقيبة، ليجد أنها ما زالت في يده .

. لا حول ولا قوة إلا بالله، الناس اتجننت .

قالها " كرشة " ساخرا، أدار دراجته النارية وانطلق بعيدًا .

نظر "عماد" خلفه ليودع الأرض الزراعية بنظرة أخيرة، ليُفاجأ "عماد" بـ" حسن " الطفل الصغير، يلعب على ضفاف الترعة، ابتسم الطفل الصغير ل"عماد" ولوح له ثم اختفى وراء شجرة"



الفصل الثاني : العزاء

وصل "عماد" منزل عائلة "فتحي" وهو في حالة يرثى لها، لفت انتباهه صوان العزاء، بعض الأعمال مازلت جارية من ترتيب للكراسي ومناضد صغيرة، نتيجة استقبال التعازي لليوم الأول، أشار "فتحي" لبعض الأشخاص لم ينتبه "عماد" لهم مرددًا عبارات مثل:

" ربنا يقويكوا يا رجالة، شدوا حيلكوا شوية "

ليتلقى ردودا من نوع ..

" هانت يا استاذ "فتحي" "، " البقاء لله "، " ربنا يجعلها آخر الأحزان ".

أما بخصوص المنزل فكان من طابقين، له باب رئيسى مزخرف فى المنتصف، وشرفة فى الدور الأول على اليمين لها سلالم أخرى خاصه بها، يوجد بها باب صغير للدخول إلى المنزل، ومنضدة حولها مجموعه من الكراسى الخشبية، سور عال على سطح المنزل، زحفت عليه مجموعة من نباتات الزينه المُتسلقة التي سبق زراعتها في الجهة الأخرى من السور،

يوجد أيضا كشاف ضخم ينير الساحة الخالية أمام المنزل بخلاف مجموعة من النوافذ العتيقة .

نظر "عماد" ليديه وملابسه ليجدها مازالت مُتسخة ، فنظر ل"فتحي" قائلا :

. بقولك إيه ياض يا "فتحي"، بفكر أرجع بيتنا أغير هدومي وأستحمي وأجيلكوا تاني .

رد "فتحي" مُتهكما :

. فكرة برضو ، بس متتأخرش ، علشان أحنا بنام بدري والساعة عدت 12

. طيب مش عايز حاجة أجبهالك وأنا جاي ؟ متخافش مش هتأخر 8 ساعات رايح جاي وأكون عندك .

أجاب "فتحي" محذرا :

. طب اتظبط بقى علشان أعرفك على أبويا، حاول تحسسه إنك جاي عزا، مش جاي تهزر .

"عماد " مبتسما :

. عيب عليك يا برنس، وجّهني انت بس على الحاج وسبني أتعامل .

دخل "عماد" المنزل متأخرًا بضع خطوات عن "فتحي" - كعادة أخرى حاول أن يحافظ عليها عندما يكون في منزل

غير منزله - ناظرا في اتجاه الأرض، يسمع صوت القرآن الكريم يتردد من مكان ما في المنزل، يشتم رائحة البخور، ومن مكان بعيد تأتي أصوات بكاء لبعض النساء .

صاح "فتحي" مناديا على والده ليستقبل "عماد"، ازاح والد "فتحي" ستار مُعلق على أحد الأبواب , وظهر من خلفه ليرحب به قائلا :

. إزيك يا "عماد"، عامل إيه يا حبيبي؟

. الحمد لله إزيك يا حاج، البقاء لله ..

نظر والد "فتحي" إلى ملابس "عماد" بأسى قائلًا:

. إيه اللي عمل فيك كده يابني ؟

ليجيب "عماد" ببراءة :

. ده حوار طويل كده، وقعت في الأرض الزراعية اللي ورا البيت وأنا جاي ؟

. ألف سلامة عليك ، أنا طبعا عارف أخبارك من "فتحي" أول بأول وكان نفسي أقابلك من زمان

وأشكرك على وقفتك مع "فتحي" واستضافتك ليه عندك في البيت .

"عماد" مُحرجا :

. ربنا يخليك يا حاج، "فتحي" أكتر من أخويا، لو جينا للحق أنا اللي عايز أشكره على وجوده معايا طول الفترة اللي فاتت .

. على العموم يابني، حمدالله على السلامة، اعتبر نفسك في بيتك .. غيّر هدومك وأنا هخليهم يحضرولك عشا، أكيد جاي من السفر جعان وتعبان .

أنهى والد "فتحي" الحاج " محمد عبد التواب " حديثه مع "عماد" وطلب من "فتحي" أن يذهب معه إلى الغرفه التي سيقيم فيها الأيام القليلة القادمة ، في نفس الوقت نادى على والدة "فتحي" لتسلم على "عماد" ، وحتى لا أطيل عليك ، بعد الكثير من السلام والتحيات وقليل من البكاء

صعد "عماد" إلى الغرفة التي سيقيم بها .

. اتفضل يا عمدة (قالها "فتحي" مبتسما)، بيتك ومطرحك، أوضة خمس نجوم أهي، وعندك الحمام بتاعها، عيش حياتك، غير هدومك وخدلك دش عقبال ما أجبلك العشا .

نظر "عماد" للغرفة يستكشفها، غرفة قديمة بعض الشيء، بها سرير واحد كبير في المنتصف، "تسريحة" بها مرآة كبيرة في مواجهة باب الغرفة، دولاب قديم، باب أبيض لحمام على يسار الداخل إلى الغرفة .

وقبل أنْ يخرج "فتحي" من الغرفة استوقفه "عماد" متسائلا:

. بقولك إيه يا "فتحي" انت هتنام فين ؟

ليجيب "فتحي" بثقة:

. هنام هنا معاك .

نظر "عماد" إلى الغرفة مرة أخرى ثم قال:

. فين يعني ده هو سرير واحد ؟

ليجيب "فتحي" بإصرار:

. هنام على السرير ، ولو عندك مانع ممكن تنام على الأرض .

. أصيل ياض يا "فتحي"، انت عارف أنا أصلا بحب الونس في النوم، على العموم فُكك بقى من حوار العشا ده علشان أنا محتاج أنام .

. طيب بُص أنا عارف إنك بجح لو حسيت إنك جعان قولي، ونام انت، أنا هنزل أشوفهم محتاجين حاجة ولا لاء، وهطلع أنام جنبك .

قالها "فتحي" وانصرف .

بعد مرور بضع دقائق كان "عماد" مُستعدًا للنوم، وضع "عماد" رأسه على الوسادة، تذكر أحداث اليوم وابتسم :

. اللي عايز اعرفه .. مين الناس اللي اشتغلتني أول ما وصلت البلد، شكلهم كانوا شاربين حشيش ولا إيه مش عارف على العموم مسيري هقابلهم تاني .

قالها "عماد" منتصرًا وأغلق عينيه، لحظات وغطّ في نوم عميق .

أحداث الليلة لما يكن بها شيء باستثناء بعض الأحلام الغير مفهومة عن الحاج " "فضيلة" " أو من ادّعى ذلك، وميلاد وحسن الطفل الصغير .

استيقظ "عماد" مُنتصف الليل عندما شعر بوجود يد تهزّه من كتفه أكثر من مرة، نظر خلفه، فلم يجد شيئا باستثناء "فتحي" يغطّ في نوم عميق، ينام متخذًا وضع الجنين وظهره في اتجاه "عماد"

ـ وكمان بترفص وانت نايم، قارفني وانت صاحي، وقارفني وانت نايم ربنا ينتقم منك يا شيخ !

قالها "عماد" بضيق، واتخذ وضع النوم من جديد، لينام بعدها ويستيقظ في الصباح على كثير من الأصوات التي اختلط بعضها بالبكاء، نظر جانبه ليجد أنّ "فتحي" قد رحل .

توضأ "عماد" وصلى الصبح بعدها اتصل ب"فتحي" ليبلغه أنّه استيقظ، لحظات ودخل عليه الغرفة ..

. صباح الخير يا عُمدة، نمت كويس ؟

قالها "فتحي" مبتسما، ليجيب "عماد" باستهانة:

. هنام ازاي وانت عمال ترفصّ طول الليل ؟

"فتحي" مُندهشا :

. أرفص ؟ أنا منمتش جنبك أصلا !

"عماد" مُتفاجئ :

. نعم! انت هتهزر ؟ أمال مين اللي كان نايم جنبي ؟

ليجيب "فتحي" وهو لا يزال مندهشا:

. يا عم محدش نام جنبك ولا دخل الأوضة دي أصلا !

ليسارع "عماد" بالسؤال ..

. إزاي يعني، انت مش قلتلي إنك هتنام جنبي ؟

فيجيب "فتحي" ببراءة:

. أنا جيت لقيتك نايم صعبت عليا ومرضتش أقلقك، قفلت عليك الأوضة بالمُفتاح علشان محدش يضايقك، وعلشان بصراحة أخاف تسرق البيت وأحنا نايمين .

ضحك قليلا، ثم أكمل:

. لما رنيت عليا عرفت إنك صحيت، وجيت فتحتلك أهو

.

قال "عماد" مندهشًا:

. إيه الكلام اللي انت بتقوله ده ؟ مش طالبه معايا هزار يا "فتحي" والله .

أجاب "فتحي" بحدّه دليلا على الجدية:

. ولا أنا والله يا"عماد" ، على العموم قوم جهز نفسك علشان تنزل تسلم على قرايبي، الدنيا بايظة تحت والناس كلها ملبوخين .

ثم أكمل "فتحي":

. أه كمان عايزك تيجي معايا نروح نشتري شوية حاجات علشان في ناس كتير قوي جايا النهاردة، محدش لحق يجي امبارح، وولاد أعمامي مشغولين بحاجات تانية، العزا عندنا 3 أيام .

أومأ "عماد" برأسه دليلا على الموافقه، ثم حاول أن يتذكر مرة أخرى ما حدث خلال المساء، محدثا نفسه:

ـ مش معقولة يكون حلم، أنا مُتأكد إن في حد كان نايم جنبي .

في الساحة الخالية أمام المنزل ، الشمس ساطعة بين الغيوم، الهواء باردا قليلا في هذا الوقت من العام ، خرج " عماد " يبحث عن " فتحي " ، ليخطف نظره سرب حمام يطير في الأفق مُجتمعا حول " برج حمام " عالي ، في مُنتصف مجموعة من الأشجار والنخيل .

. تعالى يا عُمدة سلم على قرايبي .

قالها "فتحي" وهو يشير على أحد الأشخاص :

. الحاج حسنين ، عمي .

ليسارع "عماد" قائلا بأسى:

. البقاء لله .

أشار "فتحي" على شخص آخر قائلا بثقة:

. الحاج حسان ، عمي .

. البقاء لله .

. الحاج مُحسن ، أصغر واحد في أعمامي .

. البقاء لله .

جذب "عماد" "فتحي" من كتفه ، وهمس له في أذنه :

. بقولك إيه يا"فتحي" هما كلهم حسنين وحسان ومُحسن إشمعني ابوك اللي اسمه محمد ؟

. معرفش والله يا "عماد" إبقى اسأل عمي حسن لما تشوفه.

ثم أشار نحو شخص ما يقف بعيدا .

. هتلاقيه واقف مع الناس هناك أهو .

***

انقضي اليوم سريعًا ما بين قضاء بعض الحوائج والتعرف على بعض أقارب "فتحي" .

وفي مساء اليوم الثالث للعزاء، ذهب "عماد" ليصلي العشاء في المسجد وترك "فتحي" في المنزل يساعد والده في بعض الأمور .

بعدما أنهى "عماد" صلاة العشاء، تجول في العزبة قليلا ليستنشق بعض الهواء النقي وليتعرف عليها.

في الطريق لمنزل "فتحي" رأي "عماد" " حسن" الطفل الصغير، يلهو على بعد خطوات من المنزل، شعر " عماد " بالفضول للتحدث معه , وعندما بدأ في الاقترب منه بدأ " حسن " في التحرك والابتعاد.

صاح "عماد" مناديا عليه، ولكنه لم ينظر إليه بل التف حول المنزل ، تبعه "عماد" ، حاول أن يزيد من سرعته، نادى على الطفل الصغير أكثر من مرة، ولكنه لم يعره أي انتباه، بعد عدة محاولات، نظر الطفل إليه ثم أكمل طريقه مرة أخرى .

شعر "عماد" من نظرات الطفل أن به خطبا ما، حاول اللحاق به، حتى وصل لشجرة بجانب الترعة، تلك التي اختفى عندها في المرة الأخيرة .

جلس الطفل على حافة الترعة فاقترب منه، ليجده مشغولًا بأمر ما، جلس بجانبه، ثم بدأ في التحدث إليه:

. إزيك يا "حسن"، أنا "عماد" فاكرني .

التفت "حسن" ينظر إلى "عماد" قائلًا بضيق:

. بقولك إيه يا عم فُكك مني دلوقتي !

"عماد" مندهشًا :

. إيه ده ينفع راجل مُحترم زيك يقول لحد أكبر منه " فُكك مني "و " يا عم " ؟

أدار حسن وجهه ونظر إلى الترعة مرة أخرى :

. طب قولي مالك؟ زعلان ليه؟ يمكن أعرف أساعدك !

قالها "عماد" ليجيب حسن بحزن:

. زعلان علشان رضا مش عايز يلعب معايا .

ليتساءل "عماد" بلهفة :

. فين رضا ده ؟

أجاب حسن بحزن:

ـ هناك أهو، بيدور على الكورة .

نظر "عماد" في الاتجاة الذي أشار إليه " حسن "، ليجد طفلا آخر صغيرا مُنحنيا وظهره لاتجاه "عماد"، على مسافة ليست بالبعيدة ولكن لم يتمكن "عماد" من تحديد ملامحه في الظلام، فقط طفل صغير منحني يبحث عن شيء ما .

تساءل "عماد" بحماس:

ـ طب طالما الكورة ضايعه هيلعب معاك إزاي ؟

ليجيب حسن سريعا:

ـ لا منا عارف مكانها، بس هو كل يوم يقولي دماغي وجعاني ومش عايز ألعب معاك .

رد "عماد" مبتسما:

ـ طيب هات يا حسن الكورة وأنا هلعب معاك .

ابتسم حسن ، وذهب ليحضر الكرة من خلف شجرة الصفصاف التي تطل على الترعة والتي تشعر لوهله إنها (الشجرة) سوف تسقط في الماء من شدة التوائها على الترعة .

وقف "عماد" استعداداً للعب الكرة مع حسن وعلى ضوء القمر عاد حسن يحمل الكرة في يده، وضعها على الأرض، واستعد ليركلها .

استغل "عماد" الفرصة ليسأل حسن عن الأشخاص، الذين قابلهم عند مدخل الأرض الزراعية، في اليوم الأول لوصوله :

. بقولك إيه يا حسن، مين الناس اللي انت كنت قاعد معاهم أول يوم شوفتك فيه ؟

تساءل "حسن" ببساطة:

. قصدك عم ميلاد، والحج "فضيلة" ؟

"عماد" مندهشا:

. آه، مين دول ؟

أجاب "حسن" مُبتسما ..

. هعرفك حالا .

رجع حسن خطوتين للخلف وانطلق يجري في اتجاه الكرة ليركلها ، في اللحظة التي ركل "حسن" الكرة لتصل إلى "عماد"، سمع "عماد" صرخة من مكان ما، تبعها خروج طفل من بين الحقول يجري في اتجاه حسن، نفس جسد رضا بنفس الملابس ولكن من غير رأس!

انتبه "عماد" لمصدر الصرخة الثانية ليجد أن مصدرها تحت قدميه ليفاجأ أن الكرة ما هي إلا رأس "رضا" ، رأس لطفل صغير لم يتجاوز الخمس سنوات يغلق عينا ويفتح

الأخرى لتظهر كدمة بجانب العين المغلقة نتيجة ركلة حسن للرأس . تكلم الرأس وهو يبكي موجها كلامه ل"عماد":

. ينفع كده يا عمو ؟ حسن كل يوم يلعب كورة بدماغي ؟

رد "عماد" مندهشًا:

. لاااااا كده كتير عليا قوي بصراحة، إيه الجنان ده ؟

ليتكلم الرأس مرة أخرى :

. هو إيه اللي كتير، ما انت كنت ناوي تلعب معاه، انت ترضى حد يلعب بدماغك ؟

في تلك اللحظة بالتحديد، لوح حسن ل"عماد" من بعيد قائلا:

. هاه كده عرفت ؟

ثم قفز في الترعة، في حين بدأ جسد رضا يجري باتجاة "عماد"، يبدو وكأن الجسد قادم لالتقاط الرأس ، كانت تلك الإشارة كافية ليلتفت "عماد" ويبدأ في الصراخ وهو يجري في اتجاة منزل "فتحي" .

***

حينما وصل "عماد" للمنزل نظر حوله والتقطت أنفاسه، نادى على "فتحي" بصوت عال، ليجيب عليه "فتحي" بثقة:

. ادخل يا "عماد" مفيش حد في السكة .

دخل "عماد" المنزل وهو مازال يتنهدّ، لفت نظره صورة كبيرة عُلقت على الحائط، وضع عليها شريط أسود !

صورة لرجل كبير في السن، يبدوا أنه قد تجاوز الستين من العُمر، قمحي اللون كحال مُعظم أهالي القرية، أبيض اللحية والشارب، يرتدي طاقية بيضاء، من فوقها يضع شالا أبيض ينساب على جانبي رأسه .

حينما دقق النظر، اكتشف "عماد" أن صاحب الصورة هو الحاج " "فضيلة" " أو بمعنى أصح صورة لنفس الرجل الذي قابله في بداية الرحلة عندما وصل للقرية .

قطع "فتحي" تأملات "عماد" للصورة قائلا:

. على فكرة يا "عماد" أنا اتأكدت إنك شوفت الحاج " "فضيلة" " بجد .

الفصل الثالث : البداية

اتسعت عينا "عماد" من هول المفاجأة .. التفت إلى "فتحي"، ليجده ينظر إليه هو الآخر نظرة على قدر كاف من الثبات والجدية .

صرخ "عماد" قائلا:

ـ انت بتقول إيه، وعرفت منين الكلام ده ؟

أجاب "فتحي" بهدوء:

ـ أنا كمان شوفت " "فضيلة" " النهاردة .

صمت قليلا ثم أضاف:

ـ كان واقف بيتفرج على الناس اللى حضروا العزا، ولما حاولت أقرب منه علشان أكلمه، بصلّى وهز دماغه كأنه بيعرفني إنه شافني، لما قربت منه اختفى في الزحمة .

ولما حاولت ادوّر عليه بين الناس وفقدت الأمل إني ألاقيه، لدرجة إني شكيت إنه بيتهيألي إني شوفته، لقيت حد حط إيده على كتفي، بصيت على الأيد لقيت فيها نفس الخاتم بتاع فضيله، وصوت فضيله في وداني بيهمس :

" أنا قابلت "عماد" صاحبك إمبارح، خد بالك منه، الحمل اللي جاي كبير عليه "

لفيت ملقيتش حد .

. لا تعالى بقى اقعد هنا واحكيلي واحدة واحدة من الأول، إيه اللي حصل ؟

أجاب "فتحي" بهدوء:

. بُص يا "سيدي"، اليوم اللي مات فيه "فضيلة" أنا كنت نايم معاه في الأوضة، كنت سايب سرير صغير في الأوضة بتاعته، لما بنزل البلد كنت بحب أقعد معاه وأنام معاه في نفس الأوضة على أساس يعني أفضل جنبه أكبر وقت ممكن، كنت بحبه جدًا، مش كل الناس عندها والد جد، أنا بقى كان عندي، هو كمان كان بيحبني، في مثل بيقول " أعز الولد ولد الولد " ما بالك بقى إني ابن حفيده؟

نظر "فتحي" إلى صورة "فضيلة" بحنان ثم أكمل:

. في اليوم ده "فضيلة" قام من نومه تقريبا على الساعة واحدة بليل، اللي عرفته لما صحيت إنه قام اغتسل، ده غير إني لمحته بيصلي ركعتين ، قبل ما يرجع يكمل نومه بص عليا بصه كأنه كان عارف إني صاحي وكان عايز يودعني بس متكلمش .

في حدود الساعة 4 الفجر صحيت من النوم بعد ما حلمت حلم غريب.

قاطعه "عماد" قائلًا بفضول:

. حلمت بإيه ؟

. حلمت بيك ماشي في أرض زراعية بتدور على حاجة و"فضيلة" بيوصيني عليك, أول مرة أصحى من النوم بعد حلم واحس إن جسمي بيرتعش، حسيت إن الأوضة باردة وعلى ضوء لمبة سهاري من برة الأوضة كان متعود "فضيلة" يسيبها شغالة طول الليل علشان لما يصحى يصلي الفجر، حسيت إني شوفت خيال أسود اتحرك في الأوضة ولما لفيت علشان ابص عليه ملقتش حاجة .

صحيت الصبح من النوم مخضوض على صوت عياط ، واحد من أعمامي بيقول للحريم بس علشان الواد ميتفزعش لما يصحى من النوم .

قمت من النوم بعد ما سمعت الجملة دي علشان اشوف آخر مشهد ممكن الواحد يتوقع إنه يصحى يلاقيه ، تقريبا عيلتي كلها في الأوضة، أعمامي وعماتي لابسين أسود، عماتي كاتمين صوتهم وهُمّا بيعيطوا، أول ما شافوني صحيت تقريبا دي كانت الإشارة علشان صوت العياط يرتفع .

أول ما أبويا لمحني صحيت جرى عليا، خدني في حضنه وحاول يغطي وشي، وبدأ يخرجني من الأوضة ويقولي متخافش ، بدأت أعيط وأقول لاء بشكل هستيري .

مُخي كان شغال بسرعة وجمعت اللي حصل، عرفت إن "فضيلة" مات، ومن هول الموقف أعصابي مستحملتش وقعدت أعيط .

قالها "فتحي" وانفجر في البكاء .

انقض عليه "عماد" ليحتضنه ثم قال:

. طب خلاص اهدى، البقاء لله، كلنا هنموت.

تركه بعدها ليكمل "فتحي" كلامه وهو يمسح دموعه قائلا:

. بعد ما هديت مجاليش جرأة أدخل تاني أبُص عليه، خُفت شكله بعد ما مات يفضل محفور في دماغي، اكتفيت بالذكريات الحلوة اللي كانت بيني وبينه ، بعدها افتكرت الحلم، كلمتك بس ردودك الغريبة وبحكم اني بحبك خلتني اهدى شوية .

قاطعه "عماد" متساءلا بشغف:

. بس برضو يا "فتحي" في حاجة مش مفهومة في الموضوع، ليه "فضيلة" يطلعلي ويطلعلك؟ ويجيلي في حلم ويجيلك في حلم، ليه كل ده ؟

. هو جالك في حلم ؟

قالها "فتحي" مُندهشًا، ليجيب "عماد" مؤكدا :

. اه، أول يوم جيت فيه البلد .

. بص يا "عماد" أنا مش عارف بالظبط إيه الحكاية، بس في حاجة تانية أنا عارفها وعارف انك متعرفهاش .

. حاجة ايه ؟

قالها "عماد" متسائلًا، ليجيب "فتحي" بثقة:

. الحاج "فضيلة" مكنش شخص عادي .

. إزاي يعني ؟

. مش عارف ابدأ منين ، الحاج "فضيلة" كان أشهر واحد فى البلد والبلاد اللي حوالينا بيتعامل مع الجن وبيعالج بالقرآن.

اعتدل "عماد" في جلسته واتسعت عيناه من المفاجأة وشدة التركيز.

أكمل "فتحي" كلامة قائلا:

. ده غير إن حياته كان فيها البدع، علشان كده ممكن تلاقيه قاعد معايا بيحكيلى عن الإنجليز لما دخلوا مصر، أو عن ممالك الفراعنة، ممكن توصل حتى إنه يحكيلى عن حياة الأنبياء، وطبعا كل ده مكنش عارفه من نفسه، ده كان بمساعدة الجن بتوعه .

في تلك اللحظة شعر "عماد" أن الموضوع أكبر من " رحلة ل100 عبيط " أو حضور عزاء، هناك أمر ما أتي من أجله .

أكمل "فتحي" بتركيز:

. الموضوع بتاع الشيخ "فضيلة" ده ابتدى من زمان جدا من أكتر من 80 سنة تقريبا، ركز معايا ..

***

بدأت حياة "فضيلة" واكتشف أهله مدى عبقريته وتميزه، فقد حفظ القرآن الكريم كاملا، وعمره لم يتجاوز الـ 9 سنوات، فكان فخرا لأهله، بل لكل أهل البلد .

وفي أحد الأيام، بينما كان "فضيلة" عائدا من الكُتّاب بعدما أنهى درس القرآن الكريم، شاهد بعض الأطفال يجرون عائدين من الأرض الزراعية التي شاهدها "عماد" في بداية رحلته، لم تكن تلك البيوت المحيطه بها قد بنيت بعد، ولم يكن هناك وجود لما يسمى " 100 عبيط " .

كل طفل يحمل بين يديه عودًا من القصب، يبدوا أنه قد سرقه من تلك الأرض، يجرون باتجاه "فضيلة" صائحين:

. "علي المارد" جه، " علي المارد" جه .

سأل "فضيلة" أحد الصغار عن ما يحدث، أجابه قائلا وهو يشير نحو الأرض الزراعية:

. "علي المارد" في الأرض الزراعية .

كان "علي المارد" وقتها جنًا مشهورًا في القرية، يخاف منه الجميع، وحتى تدرك سر ذلك الخوف، كان "علي المارد" يتشكل على هيئة إنسان، تجده واقفا في الأراضي الزراعية، وعندما تقترب منه، يتمدد ليصبح عملاقًا، كان طبيعيا أن يلوذ بالفرار من يقابله .

ولكن "فضيلة" الطفل، كان لديه الكثير من الفضول لملاقاة "على المارد" ، ولم يخف من فكرة مقابلته، لذلك بحث عن الاتجاه الذي يجري منه الأطفال، وذهب فى عكس الاتجاه، ليصل للمكان الذي من المفترض أن يجد به "علي المارد" .

وصل "فضيلة" ليجد المكان خاليا، لا يوجد به أحد، بحث عن "علي المارد" في أكثر من مكان ولم يجده، وحينما فقد الأمل في لقائه، التفت ليعود إلى منزله .

في اللحظة التي التفت فيها، رأى "فضيلة" وجه شخص كاد أن يلامس وجهه، ينظر إليه عن كثب قائلا بحماس:

. أنا حاسس إنك بتدور عليا.

رجع "فضيلة" إلى الخلف خطوتين، ليقع على الأرض، ويتمدد بعدها الرجل، ليصل طوله، إلى طول بناية مكونة من خمسة طوابق أو أكثر .

وعلى عكس توقع "علي المارد"، "فضيلة" لم يخف، لم يصرخ ولم يجر، بل جلس في مكانه يضحك !

لينكمش "علي المارد" مرة ثانية، ويعود إلى حجمه الطبيعي، ثم يسأل "فضيلة":

. انت بتضحك ليه ؟

ليجيب عليه "فضيلة" وهو يحاول أن يكتم ضحكاته:

. لا عادي أصل شكلك بيضحك .

تفاجأ "علي المارد" من رد "فضيلة"، وعاود السؤال:

. بيضحك ازاي يعني ؟

أشار "فضيلة" إلى "علي المارد" مبتسما:

. لما بتكبر بطنك بتتنفخ وبتبقى عامل زي الست الحامل، ده غير إن راسك بتبقى قد البرتقالة .

رد "علي المارد" بثقة:

. على فكرة ممكن أخلي دماغي كبيرة كمان . أوريك ؟

. وريني كده !

تمدد "علي المارد" مرة ثانية وزاد من حجم رأسه، ليعاود "فضيلة" الضحك، فيسأله "علي المارد" وهو متضايق:

. بتضحك تاني ليه ؟

فضيله مبتسما:

. شوفت لما دماغك كبرت وشفطت بطنك رجليك بقوا شبه عودين قصب .

انكمش "علي المارد" مرة ثانية وسأل "فضيلة":

. طب وبعدين ؟ ايه العمل دلوقت ؟

"فضيلة" ضاحكا:

. مش عارف بس انت شكلك بيضحكني ..

جلس "علي المارد" بجانب "فضيلة"، واضعا يده اليمنى على خده، ليقول "فضيلة" وهو يحاول أن يكتم ضحكاته:

. خلاص يا "علي" متزعلش نفسك ، اعملها تاني وأنا هتخض .

نظر إليه "علي المارد" حزينا ثم قال:

. اسكت بقى خلاص أحبطتني ، انت اسمك ايه صحيح ؟

. اسمي "فضيلة".

. أنا "علي المارد" أو زي ما البشر بيسموني .

وابتدت صداقة بينهما، وأصبح "علي المارد" ملازما لـ"فضيلة" باستمرار، وبدأت رحلة "فضيلة" في عالم الجن.

بدأ "علي المارد" يعلم "فضيلة" الكثير من أسرار عالم الجن، حتى وصل الحال بـ"فضيلة" إلى أن أصبح من القلائل الذين رأوا " النداهة " على صورتها الحسنة، كثير ممن رأوها وصفوها بأن شكلها بشع، يتمايل شعرها فوق رأسها وكأنها أفاعي حية، أظافرها طويلة ملتوية، ولكن "علي المارد" ساعده على أن يراها في أحسن صورها ، رآها أكثر من مرة في طريقه إلى صلاة الفجر بجانب الساقية، تمشط شعرها الذهبي، ولكن "علي المارد" منعه من التحدث معها.

ساعده أيضا على رؤية الكثير من الأشياء الغريبة أيام الحروب التي خاضتها مصر، جيوش كاملة مهزومة تسير ليلا، أحد الجنود يجُرّ إحدى رجليه التي انقطعت في الحرب وراءه، جندي آخر يحمل أحشاءه التي تتساقط من بطنه بين يديه، جندي يحمل رأسه وكأنه يحمل طفلا رضيعا، دلالة على أن رأسه قد قطعت في الحرب ، جيوش كاملة من أشباح البشر منهزمة ، رآها "فضيلة" بمساعدة "علي المارد".

***

قاطع "عماد" "فتحي" مُتسائلا بحيرة :

. طب بقولك ايه يا "فتحي"، بمناسبه العسكري اللي دماغه مقطوعه، تعرف واحد اسمه " حسن سعيد " ؟

. حسن بن سعيد الصياد ؟

قالها "فتحي" مندهشا ؛ ليجيب "عماد" مُنبهرا:

. أيوة حسن بن سعيد الصياد .

أجاب "فتحي" سريعا:

. مش هسألك عرفته منين، بس الواد ده من فترة قبل العزا لقوا جثته مرمية في الترعة ولقوا جثة كمان من غير دماغ لعيل صغير اسمه ..

. رضا !

قالها "عماد" لتزيد من دهشة "فتحي" :

. أيوة رضا صح ، عرفت منين ؟

. مش مهم عرفته منين، تعالى معايا بسرعة عايز اتأكد من حاجة .

"فتحي" بنفاذ صبر:

. هنعمل ايه دلوقت ؟

. تعالى بس يا "فتحي" ومتسألش .

***

نزل "عماد" من المنزل والتفت وراءه متجها للأرض الزراعية و"فتحي" خلفه يحاول اللحاق به مستفسرا عن الموضوع:

. يا عم الساعة عدت عشرة واخدنا ورايح فين ؟

ليجيب "عماد" بحدة:

. ممكن تسكت لحد ما نوصل ؟

"فتحي" مُستسلما:

. لما نشوف أخرتها معاك .

وصل "عماد" و"فتحي" للترعة التي قابل عندها "حسن" الطفل الصغير و"رضا"، نظر "عماد" حوله وكأنه يبحث عن شيء ما .

. أهي .

قالها "عماد" ليتساءل "فتحي":

. هي ايه اللي أهي ؟

. الشجرة..

"فتحي" ساخرا:

. أيوة شجرة ، عايز منها ايه ؟

. تعالى بس معايا كده واحفر هنا .

بدأ "عماد" يحفر بجانب الشجرة تبعه "فتحي" مُتضايقا:

. بهدلنا بقى على المسا ، كل يوم تروحنا مطينين .

. احفر وانت ساكت، خلينا نخلص .

حفر "فتحي" و"عماد" ولم يجدا شيئا..

. حفرنا أهو يا عم ، تحب نزرع بقى ولا نعمل إيه ؟ ("فتحي" ساخرا ليجيب "عماد") :

. لا. أحب تسكت، احفر معايا هنا .

. هي ليلة طويلة أنا عارف .

حفر "فتحي" و"عماد" للمرة الثانية ولم يجدا شيئا.

. عندنا حفرتين أهو يا عم ابسط، تعالى بقى نمشي ونيجي بكرة الصبح نكمل حفر في الأرض كلها إيه رأيك ؟

. لا، احفر بقى في الحتة دي .

قالها "عماد" مشيرًا إلى مكان أخر وهو يبدو عليه التركيز .

عاد "فتحي" و"عماد" للحفر مرة أخرى .

. أهو يا عم حفرنا، انجز بقى عايز أروح أتعشى .

لم يكمل "فتحي" الجملة حتى انتفض من مكانة قائلا:

. يخربيتك يا "عماد" ايه ده ؟

ليجيب "عماد" بثقة:

. دي دماغ !

. أيوة منا عارف إنها دماغ، دماغ مين دي ؟

. دي راس "رضا" اللي انتوا مش لاقينها .

قال "فتحي" صارخًا:

. هار اسود، عرفت الكلام ده منين ؟

. منا بقولك الموضوع شكله كبير .

. طب وبعدين، هنعمل إيه في المُصيبة دي ؟

انتفض "فتحي" و"عماد" في تلك اللحظة عندما سمعا الصوت "مش هرووووح .. مش هرووووح "..

أخرج "عماد" الهاتف من جيب الجاكت، ضغط على زر الرد ثم قال بشغف:

. أيوة يا بابا ازيك ؟

ليجيب عليه والده بحنان:

. أيوة يا "عماد" يا حبيبي عامل ايه ؟؟

. تمام الحمد لله، ازيك انت يابابا وازي ماما عاملين ايه ؟

. الحمد لله بخير، وصلت البلد بالسلامة عند "فتحي" ؟

. واصل بقالي يومين بس معرفتش أكلمك، كنت مشغول حبيتن .

ليجيب عليه والده بحنان:

. أنا كمان يا حبيبي، كنت مشغول بإجراءت السفر علشان نرجع مصر.

"عماد" سعيدا:

. ترجعوا بالسلامة إن شاء الله .

. إن شاء الله، اديني "فتحي" أو والده أعزيهم .

. لا مفيش حد جنبي دلوقتي.

قالها "عماد" ونظر لـ"فتحي" ليجده مازال مُتصلبًا في مكانه ينظر لرأسِ "رضا" ، ثم أكمل:

. أنا نزلت أشم شوية هوا وطالع هبقى أخليك تكلمهم وقت تاني .

. ماشي يا حبيبي، خد بالك من نفسك وهكلمك تاني أتطمن عليك.

أنهى "عماد" المكالمة مع والده ونظر لـ"فتحي" مُتسائلا:

. يالا بينا ؟

"فتحي" خائفًا:

. بينا فين ؟

. هنروح البيت خلاص .

. طيب والراس دي هنسيبها هنا ؟

. أمال هناخدها معانا؟ يالا يا عم هنكلم الشرطة وهي تتصرف، بدل ما ندخل في سين وجيم.

قام "فتحي" من مجلسه وهو مازال مرتعبًا ينظر إلى الحفرة التي وجدوا بها الرأس .

نظر لـ"عماد" ليجد شبح ابتسامة على وجهه تبدو وكأنها ابتسامة النصر.

عاد "فتحي" و"عماد" إلى المنزل، بعدما أبلغا الشرطة عن ما وجدوه عن طريق تليفون عمومي، طلب "عماد" من "فتحي" أنْ يريه غرفة "فضيلة"، ليسأله "فتحي":

. عايز أنهي أوضة ؟ أوضة النوم ولا المكتب ؟

ليتساءل "عماد" بحيرة:

. اممم، هو كان بيقعد فين باستمرار ؟

صمت "فتحي" قليلا وكأنه يتذكر ثم قال:

. هو كان بيعالج الناس وكل حياته تقريبا كانت في المكتب، غير كده كان بيطلع ينام في أوضته فوق .

. لا خلاص،، خلينا في المكتب .

دخل "فتحي" تبعه "عماد" إلى مكتب "فضيلة"، نظر "فتحي" إلى يديه قائلا:

. بقولك ايه يا "عماد" أنا رايح الحمام أغسل إيدي ده غير إني مزنوق على الآخر كنت هعملها على نفسي لما شوفت المُصيبة اللي لقيناها ، بالمرة أعرفهم إننا وصلنا، علشان يحضروا العشا .

. خد راحتك .

. أهم حاجة متلمسش أي حاجة بإيدك دي غير لما تغسلها علشان متبهدلش المكتب، قالها "فتحي" وانصرف.

بدأ "عماد" في تأمل الغرفة وحاول أن يتخيل ما كان يحدث بها ، على ذلك الكرسي جلس "فضيلة" في يوم ما، تلك الكتب التي على المكتب ربما قرأها "فضيلة" في يوم من الأيام، أريكة .. ربما عالج "فضيلة" عليها شخصا ما، و أخرج منه جنًّا ، مكتبة بها الكثير من الكتب، اقترب "عماد" لينظر إلى الكتب عن قرب عندما سمع ذلك الصوت .

التفت "عماد" ليجد "فضيلة" يجلس على كرسي المكتب، ينظر إليه وعلى وجهه ابتسامه، ويقول:

. هايل يا "عماد"، كنت متوقع انك هتعرف مكان راس "رضا"، بس أنا عايزك في موضوع أكبر من ده.

الفصل الرابع : اللقاء

عاد "فتحي" إلى مكتب "فضيلة" بعدما اغتسل ليجد "عماد" واقفًا ينظر إلى كرسي مكتب "فضيلة" وعيناه متسعتان!

اقترب "فتحي" من "عماد" وبدأ في السؤال:

. مالك يا "عماد" متنح كده ليه ؟!

ليجيب "عماد" وهو مازال مُنتصبا، وعيناه لم يرمش لهما جفن ..

. "فضيلة" يا "فتحي" !

ليتسأل "فتحي" بحدة:

. ماله ؟

فيجيب "عماد" وهو مازال على نفس الحالة:

. لسه جايلي حالاً !

"فتحي" مُندهشا:

. جالك ؟ هي إيه الحكاية بقى ؟

نظر "عماد" حوله، وكأنه فاق من صدمته ثم قال:

. الموضوع كبير يا "فتحي"، تعالى معايا !

. آجي معاك فين تاني ؟

. تعالى بس هقولك كل حاجة في السكة .

***

قبل وقت قليل ..

. هايل يا "عماد"، كنت متوقع انك هتعرف مكان راس "رضا" بس أنا عايزك في موضوع أكبر من ده.

قالها "فضيلة" ليلتفت "عماد" لمصدر الصوت قائلاً:

. بسم الله الرحمن الرحيم! قل أعوذ برب الفلق، هي سورة الكرسي كان أولها ايه ؟! يالهوي شكلي نسيت .. اه افتكرت، (الله لا إله إلا هو الحي القيوم..) انصرف .. انصرف .. انصرف ..

قال "فضيلة" ضاحكًا:

. اهدى يا "عماد" .

. أهدى إزاي يا عم انت، هو مش انت كنت ميت وراحوا دفنوك ، راجع تاني ليه ؟

"فضيلة" بهدوء:

. عايز منك خدمة .

"عماد" منفعلا :

. خدمة إيه يا عم؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

. شيطان إيه يابني! اهدى بقى خلينا نعرف نتكلم .

. والله يا عم "فضيلة" أنا معملتش حاجة .

قالها "عماد" وكأنه سيبكي ليجيب "فضيلة":

. يابني هو أنا مباحث، أنا عايز منك خدمة !

. خدمة.. خدمة إزاي ؟ أوعى تكون هتموتني وتاخد جسمي؟

. أدي أخرة آلافلام الأجنبي اللي بوظتلكوا دماغكوا، يابني عايزك في موضوع مُهم .

. يعني مش هتموتني ؟

قال "فضيلة" منفعلًا:

. يابني لا، حرام عليك، خليني أقول الكلمتين اللي جاي أقولهُم لك .

هدأ "عماد" قليلا ثم قال:

. طيب يا عم "فضيلة" قولهم، بس عايزك تعرف إني بحبك وربنا .

ليتساءل "فضيلة" بنفاذ بحدة:

. يابني وانت تعرفني أصلاً ؟

فيجيب "عماد" بقلق:

. لا، بس أنا قلت أقولك لحسن تكون ناوي تعمل فيا حاجة !

. لا متقلقش أنا عايز منك خدمة، ومش ناوي أعمل فيك حاجة .

. طيب ، إذا كان كده ماشي، ينفع أروح الحمام طيب ؟

نظر "فضيلة" بحدة إلى "عماد" ثم قال:

. اللهُم طولك يا روح .

صمت "عماد" قليلا ثم قال:

. طيب خلاص مش رايح الحمام، بس معلش سؤال هو انت عفريت ؟

ليجيب "فضيلة" بلا مبالاة:

. مش بالظبط !

تساءل "عماد" بجزع:

. مش بالظبط إزاي ؟

. أنا "فضيلة"، بمعني أصح قَرِينُه .

. قرينه إزاي يعني ؟

أجاب "فضيلة" بنفاذ صبر:

. بُص علشان انت شكلك هتتعبني معاك، أنا دلوقتي "فضيلة" اعتبرني روح بقى، قرين، شبح، أي حاجة المهم تسمع الكلمتين اللي هقولهُملك وتطبقهم كويس .

. طيب خلاص، بُص أنا مش هتكلم تاني ولا هنطق .

وضع "عماد" يده على فمه، فأكمل "فضيلة" قائلا:

. ماشي يا سيدي ، الموضوع اللي عايزك فيه، بخصوص العيال اللي عمالة تموت دي، اللي انت لقيت دماغ واحد منهم .

قاطع "عماد" "فضيلة" قائلا:

. ينفع أتكلم ؟

ليجيب "فضيلة" وهو يحاول أن يكتم غيظه:

. اتفضل اتكلم .

. انت اللي بتموتهم ؟

أجاب "فضيلة" منفعلا:

. أموت مين يابني، أنا جايلك علشان ننقذهم، بمعني أصح ننقذ حد تاني من الموت .

. طيب خلاص متضايقش نفسك، اتفضل كمل .

. بُص هحكليلك حكاية، وحاول تركز معايا، علشان تعرف هتعمل ايه.

. حاضر.

أكمل "فضيلة" كلامه لـ"عماد" وكانت القصة كما يلي .

***

منذ أكثر من 70 عاما، لم يكن هناك وجود لما يسمي عزبة الـ 100 عبيط ، كانت أرض العزبة وما حولها مخصصة للزراعة، إحدى هذه الأراضي كان يمتلكها مجموعة مكونة من ثلاث رجال أشقاء هم ("سيد" عبد التواب، "يوسف" و "مصطفى") .

فى صباح أحد الأيام، بينما كان يحفر "سيد" فى الأرض، ارتطم الفأس بقطعة صخرية، انحنى الرجل ينظر إلى تلك الصخرة ليجد عليها مجموعة من النقوش، حاول أن يزيد من مساحة الحفرة ليكتشف "سيد"، أنه أمام اكتشاف رهيب، اكتشاف ربما يكون السبب فى جعله من أثرياء القوم هو وإخوته، أعاد التراب مرة أخرى على الحفرة وعاد مسرعًا إلى منزله ليخبر أشقاءه، ليعودوا معه إلى ذلك المكان مرة أخرى .

بدأ الأشقاء الثلاثة في الحفر مرة أخرى، حتى بدأت تظهر تلك الصخرة، وحينما بدأوا في زيادة مساحة الحفرة، ظهرت المزيد من النقوش، وبعد حفر استمر عدة ساعات، بدأت الصورة تتضح للجميع .

كانت الصخرة ما هي إلا باب صخري كبير عليه مجموعة من النقوش الفرعونية، تتوسطها صورة لملك يرتدي تاجًا، يرفع إحدى يديه في الهواء حاملا سيفًا وتحت قدميه يوجد رجل يجلس على ركبتيه رافعًا رأسه في اتجاه الملك يتوسل إليه ألا يقتله، صورة كبيرة لشمس أعلى رأس الملك يمتد منها شعاع، يصل إلى تاج الملك، وبجانب الملك رجل يمسك بين يديه كتاب، يبدو وكأنه يتلو منه بعض الكلمات على مسامع الحضور .

وجدوا أيضا مجموعة من الصور والنقوش مرتبة بشكل ما فوق تلك الصخرة ليبدوا أنها رسالة أو معلومات عن المقبرة .

صورة الملك حينما تنظر إليها تجد بها الكثير من الرهبة، ولكن إن كنت أحد هؤلاء الثلاثة فقد تحصل على كثير من الفرح ليغطي على الرهبة تلك .

مقبرة فرعونية لملك وجدتها في أرضك بالصدفة، يبدو أنك استشعرت الفكرة وعلمت أنك ستحصل على كثير من الكنوز .

لحظات تأمل مرت عليهم غير مُصدقين لما وجدوه، وبدأ كل شخص في رسم أحلامه وطموحاته وكيف ستكون حياته القادمة .

امتدت يد أحدهم إلى الفأس ورفعه عاليًا ليدمر تلك الصخرة حتى يستطيع الدخول إلى المقبرة، وكانت المفاجأة !

في اللحظة التي ارتفع فيها الفأس عاليا، اهتزت الأرض وانفتح الباب من تلقاء نفسه، نظر الرجال الثلاثة إلى بعضهم البعض، ثم نظروا مرة أخرى إلى الباب، الذي ظل مفتوحًا، وكأنه يوجه لهم رسالة: الموضوع أبسط من ذلك لا يحتاج إلى العنف، إذا أردت الدخول، فقط تفضل .

اقترب الأشقاء الثلاثة من الباب للدخول، لتقابلهم تلك الرائحة البشعة الناتجة عن تحلل ما فى المقبرة على مدار السنين، لم تكن مقبرة توت عنخ أمون اكتشفت فى هذا الوقت، ولم يدركوا أن الهواء محمل بكثير من البكتريا السامة التي قد تقتلهم .

بشاعة الهواء المنبعث من المقبرة والذي جعل بطونهم تلفظ ما بداخلها, جعل كبيرهم يعيد التفكير في الدخول للمقبرة .

دار الحوار الآتي بين "سيد" موجهًا كلامه لأخيه "يوسف" الذي ما لبث أن حاول الدخول للمرة الثانية واضعًا يده على أنفه علها تخفف من شدة الرائحة الكريهة.

. استني رايح فين ؟

"يوسف" مُندهشا في إشارة منه إلى المقبرة :

. هكون رايح فين، داخل المقبرة !

وضع "سيد" يده على كتف أخيه ليبعده عن المقبرة قائلا:

. لا .. احنا نسيب المقبرة دي تتهوى شوية، وبعدين ندخل !

نظر "يوسف" إلى المقبرة مرة أخرى ثم تسائلا بلهفة:

. نسيبها لحد امتى يعني ؟

. نستنى يومين، لحد ما الهواء يتغير ونبقى ندخل، هي هتروح فين يعني؟ أهي موجودة، المرة دي بطننا مستحملتش، المرة الجايا محدش عارف إيه اللي ممكن يحصل !

يومان مرا على الأشقاء الثلاثة يجلسون أمام المقبرة في انتظار أن يتم تجديد الهواء، حتى يستطيعوا الدخول آخذين بنصيحة أكبرهم .

أصاب الملل "مصطفى" أصغرهم وبدأ في السؤال متذمرا:

. أنا بدأت أزهق، احنا هندخل امتى ؟

ليجيب "سيد" بحزم:

. اصبر شوية كمان .

فعاود "يوسف" السؤال للمرة الثانية :

. هنصبر لحد امتى ؟

فأجاب "سيد" منفعلًا :

. لحد ما نتأكد إن الهوا بقى نضيف !

فتابع "مصطفى" السؤال موجهًا كلامه لـ"سيد":

. وهنتأكد ازاي ؟

في تلك اللحظة، انتبه الرجال الثلاثة لوجود صوتِ مُواءٍ بجانبهم، التفتوا لمصدر الصوت، ليجدوا قطة سوداء صغيرة، يبدوا عليها التعب، تُصْدِرُ مُواءً ضعيفًا، تقترب من مكان مجلسهم، تبحث عن بعض الطعام، التمعت أعين الرجال الثلاثة حينما عرفوا ما يجب عليهم فعله .

أسرع "يوسف" إلى القطة، حملها بين يديه واتجه بها إلى باب المقبرة وهو يقول:

. كنتي فين من زمان ! دلوقتي بقى هنعرف إذا كان ينفع ندخل ولا لاء ؟

ألقى "يوسف" القطة الصغيرة داخل المقبرة وعاد ليجلس بجانب شقيقه.

لحظات صمت مرت عليهم وهم في انتظار خروج القطة .

حينما بدأ شعورهم بالملل يزداد، وبدأوا يشعرون بفقدان الأمل، وجدوا القطة الصغيرة تخرج من باب المقبرة مُصدرة ذلك المواء الضعيف، تلعق إحدى يديها الأمامية، تنظر حولها وكأنها لا تراهم، ثم ابتعدت عن باب المقبرة .

كانت تلك الإشارة كافية ليتأكد الأشقاء الثلاثة أن المقبرة آمنة لدخولهم .

بالفعل بدأوا في الدخول واحدا تلو الآخر، في ذلك الوقت شعر "سيد" أنه من الأفضل له أن ينتظر في الخارج، دخل "يوسف" و"مصطفى" إلى المقبرة، وانتظر "سيد" بالخارج .

بعد فتره ليست بالطويلة، بدأ "سيد" يشعر بالملل، ثم الفضول لمعرفة ماذا وجد شقيقاه ؟

ماذا يفعل ؟ هل يدخل إلى المقبرة أم ينتظر ؟

بعد قليل بدأ "سيد" يشعر بالقلق، لماذا تأخر شقيقاه بالداخل، اقترب من باب المقبرة وبدأ ينادي على شقيقيه، انتظرَ قليلًا ولم يتلق أي رد، عاد إلى مجلسه مرة أخرى .

بدأت الحيرة تظهر على وجهه، هل يدخل إلى المقبرة، أم يعود إلى قريته، ليخبر أهله عما حدث علَّه يجد من يستطيع مساعدته .

جاءت الإجابة على تساؤلاته عندما وجد تلك القطة تعود من جديد لتدخل إلى المقبرة من تلقاء نفسها، شاهد الرجل ما يحدث بفضول، اقترب من باب المقبرة مرة أخرى واضعاً يده على فمه وأنفه تحسبًا لوجود تلك الرائحة الكريهة، في تلك اللحظة ظهرت القطة من جديد على بعد عدة أمتار من الرجل.

هناك شيء ما يحمله ذلك القط في فمه !

عندما دقق "سيد" النظر، اكتشف أنّ ما تحمله القطة ما هي إلا ونيسة ذهبية ، ((عروسة ذهبية صغيرة طولها في حدود 10 سم كان يوضع الكثير منها في مقابر الفراعنة اعتقادا منهم أنها تساعد في خدمة صاحب المقبرة في الحياة الأخرى)).

ابتسم الرجل واقترب ناحية القطة ليلتقط منها تلك الونيسة، ولكن القطة عادت مرة أخرى إلى الداخل، ليتقدم الرجل بضع خطوات أخرى داخل المقبرة .

بعد مرور أيام، بدأ خبر اختفاء الرجال الثلاثة ينتشر في القرية، منهم من اعتقد أن الرجال الثلاثة يئسوا من الحياة في القرية فقرروا الرحيل، ومنهم من اعتقد أنّ " النداهة ندهتهم "، ومنهم من اكتفى بقول " الغايب حجته معاه "، ولكن بعد مرور المزيد من الأيام واختفاء بعض الأشخاص الآخرين الذين قرروا البحث عنهم، بدأ الفزع يدب في أرجاء القرية، و بزيادة أعداد المفقودين، قرر أهالي القرية في النهاية عمل مجموعات من

رجال القرية والقرى المُحيطة للبحث عن المفقودين أو على الأقل علّهم يعثرون على جثثهم .

وصلت مجموعة من الرجال لأرض ("سيد"، "يوسف" و"مصطفى") لينالوا قسطاً من الدهشة والسعادة اختلط بالقليل من الخوف حينما رأوا تلك المقبرة الفرعونية، ولكن فكرة وجود مقبرة مملوءة بالذهب والكنوز ، ألغى ذلك الشعور بالخوف، تسارع الرجال في الدخول إلى المقبرة ليكتنز كل منهم من الكنوز الموجودة بالداخل .

في الخارج .

وقف طفل صغير لم يتجاوز الخمس سنوات، ينظر إلى تلك المقبرة غير مُهتم، لا يعلم لما تركه والده وأسرع في الدخول، جلس على الأرض في انتظار خروج والده .

بعد مرور عدة ساعات بدأ الصبي الصغير يشعر بالجوع والعطش، ولم يدر ما يجب عليه فعله، بدأ الطفل في ينادي على والده، ولكن والده لم يجب، نادى أكثر من مرة ولم يتلق أي رد، بدأ الطفل الصغير في البكاء .

بعد دقائق، كانت تمر مجموعة أخرى من الرجال الذين ذهبوا في رحلة البحث تلك، حينما سمعوا صراخ الصبي الذي اختلط مع البكاء اقتربوا منه .

بعد سؤال الصبي عن والده، أشار الصبي إلى الحفرة التي نزل منها والده، لتصيبهم الدهشة ولتشع أعينهم من هول المفاجأة .

تلك المرة، جلس بعض الأشخاص بجانب الطفل الصغير، في حين بدأ البعض الآخر في الدخول واحدا تلو الآخر ، بعد مرور دقائق، بدأ الرجال المنتظرون في الخارج بالشعور أن هناك شيئا ما خطأ، كل الرجال الذين دخلوا إلى تلك المقبرة لم يعودوا .

حاول أحد الأشخاص الاقتراب من باب المقبرة لينادي على من دخلوا، ولكن لم يتلق أي رد، فى تلك اللحظة تيقن من بالخارج أنّ تلك المقبرة ملعونة ، وأنها هي السبب في اختفاء جميع الرجال السابقين .

عاد من تبقى من الرجال إلى القرية، وبدأ الخبر في الانتشار ، وصل الخبر إلى رجال الشرطة، ليتم تكوين فريقٍ مبدئي للذهاب إلى موقع المقبرة للحفاظ عليه بقيادة ضابط شرطة يدعى "مصطفى" .

عند وصول رجال الشرطة إلى المكان وجدوا القليل من الفضوليين من أبناء القرية وقرى مجاورة ابتعدوا عن الموقع سريعا عند وصول الشرطة، اقترب "مصطفى" من باب المقبرة وطلب من جنوده الدخول، ولكن أحدا لم يستجب، استاء الشرطي، وأطلق الكثير من السباب، ثم قال:

. كلكم متحولين للتحقيق لما نرجع، بتعامل مع شوية عيال، خايفين من إيه ؟ انتوا مصدقين الكلام الأهبل بتاع الأهالي؟ أنا هوريكوا إن كل الكلام ده كلام فاضي .

دخل الشرطي إلى المقبرة ثم قال متباهيا:

. أهو مفيش حاجة، صدقتوني .

توغل قليلاً إلى الداخل ليختفي في الظلام، ثم قال:

. أهو مفيش حا ....

لم يكمل "مصطفى" كلمته حتى استمع الجنود، إلى صرخة طويلة، تشعر لوهلة أنها –الصرخة- لن تنتهي، تصدر من داخل المقبرة لتحلق جميع الطيور الموجودة داخل الأرض الزراعية في نفس الوقت بعيدا وكأنها تنجوا بنفسها .

اجتمع الكثير من رجال الشرطة للمرة الثانية حينما وصل خبر اختفاء ذلك الشرطي إلى القسم، خاصة حينما علموا بقرار أهل القرية ردم تلك الحفرة التي يوجد بها المقبرة الفرعونية .

ظهر اسم "فضيلة" وبدأ يتردد بين سكان القرية، "فضيلة" هو الوحيد في القرية القادر على معرفة ما يحدث في تلك المقبرة، ولكن أين "فضيلة" الآن ؟!

في مكان ليس بالبعيد، كان "فضيلة" يجلس على الأرض يبدو لمن يراه من بعيد أنه يتحدث مع نفسه، إن أردت الدقة بمقاييس عالمنا نحن، هو يتحدث مع نفسه، اقترب أحد الرجال من "فضيلة" وهو ينادي عليه ولكن "فضيلة" لم يعره أي اهتمام، كان يبدو من جلسة "فضيلة" أنه يقوم بأمر ما.

حينما اقترب الرجل من "فضيلة" أكثر وجد "فضيلة" يجلس يتمتم ببضع كلمات غير مفهومة، وعلى بعد عدة خطوات منه يوجد اثنان من الأحجار الجيرية، اقترب الرجل أكثر من "فضيلة"، ليشاهد أغرب مشهد ممكن أن يراه في حياته .

ارتفع الحجران في الهواء وظلوا في تلك الوضعية ما يقرب من عشر ثواني، نظر الرجل إلى الحجرين غير مصدق ما يراه، وضع الرجل يده على كتف "فضيلة"، ليصطدم الحجران ببعضهما البعض ويتحولا إلى رماد، ويقول "فضيلة" بثقة:

. عايز ايه يا "إبراهيم" ؟

ليجيب "إبراهيم" مندهشًا :

. وكمان عارف اسمي ؟

صمت قليلا ثم قال ببراءة:

. أنا مش عايز حاجة، هما اللي عايزينك في الأرض بتاعت "سيد" عبد التواب .

في ذلك الوقت كان "فضيلة" في مرحلة الشباب، قمحي اللون، يرتدي جلبابًا رماديًا، يمتلك جسدًا قويًا بالنسبة لشاب في عمره، عيناه واسعتان يبدو عليهما الذكاء، أنفه غليظ، حليق الذقن والشارب .

قام "فضيلة" من جلسته ونظر إلى المدعو "إبراهيم"، ثم قال:

. مين اللي عايزني ؟

ليجيب "إبراهيم" بلهفة:

. أهل البلد كلهم هناك . والبوليس كمان وصل، وعايزينك علشان في حاجات غريبة بتحصل في أرض "سيد"عبد التواب"

ذهب "فضيلة" مع "إبراهيم"، وبدأ في سؤاله عما يدور في أرض "سيد"؟

عند وصول "فضيلة" إلى المقبرة، بعدما رأى الاستعدادات الأمنية و الأهالي الغاضبة، شعر "فضيلة" بخطر كبير، الخطر الأكبر شعر به عندما علم "فضيلة" من "علي المارد" بوجود الكثير من الأرصاد في المكان.

((الرصّد هو الجن المسؤول عن حماية المقابر الفرعونية يتم استدعاؤه لحماية الأماكن الموجود بها الذهب بشكل خاص)).

المشكلة الأكبر ظهرت عندما علم "فضيلة" أن "علي المارد" لا يستطيع حمايته وحده من كل هؤلاء الأرصاد إذا وقعت أي مُشكلة، فكر "فضيلة" قليلًا حتى توصل إلى حل مبدئي، بعدما علم نية رجال الشرطة بقيادة ضابط يدعى "شمس" في الدخول إلى المقبرة لمعرفة ما يدور في الداخل.

ظهر اسم "ميلاد غالي" كحل مبدئي ليأتي لمساعدة "فضيلة" إذا وقعت أي مشكلة .

للتعرف أكثر على ميلاد : "ميلاد غالى"، قابله "عماد" عندما وصل إلى كفر فقر فى بداية الرحلة، كاهن فى كنيسة كفر فقر فى الوقت الذي نتحدث عنه الآن، مسؤول عن جميع المناسبات من أفراح أو جنائز أو أي مناسبات أخرى داخل الكنيسة بالإضافة إلى أنه أثبت براعته فى التعامل مع الجن أو ما يسمى في المسيحية " بطرد الشياطين ".

من القلائل الذين تعاملوا مع " طلمش " و " خربط "((جن مسيحي مشهور)).

ونجح فى تكوين علاقة جيدة معهم، بجانب أنه بحكم نشاطه وقدرته على طرد الشياطين فهو صديق شخصي لـ"فضيلة" ..

طلب "فضيلة" من "إبراهيم" . الشخص الذي أحضره إلى المقبرة . الذهاب إلى كنيسة كفر فقر واستدعاء "ميلاد" قائلا بحدة:

. هتروح للكنيسة بتاعة "ماري جرجس" تدور على ميلاد غالي، تقوله "فضيلة" بيقولك سيب اللي في إيدك وتعالى حالًا علشان عايزك .

كان ميلاد هو الآخر شابًا قوي البنية، نشيطًا، قمحى اللون هو الآخر. أنفه غليظ، عيناه ضيقتان، دائما ما يبتسم حتى وإن كان حزينا .. فمه صغير نسبيا، لديه شارب أسود ولحية قصيرة، شعره متوسط الطول لامع ينساب على جانبي وجهه، الصليب يتدلى من سلسلة على عباءته السوداء ..

ذهب "إبراهيم" لينفذ ما طُلِب منه، اقترب "فضيلة" من باب المقبرة ورأى النقوش للمرة الأولى، علم "فضيلة" من "على المارد" أن تلك النقوش هى تحذير لعدم الدخول إلى المقبرة مجموعة من النقوش والكلمات بجانب بعضها كونت تلك العبارة .

" من يدخل من هذا الباب فهو عبيط يجب قتله "

((عبيط هى كلمة فرعونية مكونة من مقطعين " عا " بمعني حمار و " بيط " بمعني شخصية)).

. يعني الحمار اللي هيدخل من هنا هيموت .

قالها "فضيلة" محدثًا نفسه.

طلب "فضيلة" من " شمس" ضابط الشرطة عدم التسرع في الدخول إلى المقبرة وأن لديه حلا سيرضي جميع الأطراف .

عاد "إبراهيم" ومعه "ميلاد"، رحب "فضيلة" بـ"ميلاد"، وشرح له الموقف، طلب منه استدعاء "خربط" و "طلمش" وكل توابعهم، في حين أن فضيلة سيقوم باستدعاء بعض الجن، ليقوموا بمعاونة "علي المارد"، لتشتيت الأرصاد والدخول إلى المقبرة .

بعد مرور عدة دقائق، كانت هناك معركة بين الجن الخاص بـ"فضيلة" و"ميلاد" وبين الرصد المسؤول عن حراسة المقبرة ، ما هي إلا دقائق حتى استطاع "فضيلة" تحديد جميع مداخل المقبرة بمساعدة "علي المارد".

طلب "فضيلة" من بعض الرجال الموجودين، الحفر فى مكان ما على بعد خطوات من الباب الرئيسى للمقبرة ، بعد عدة دقائق كان هناك باب آخر يظهر بوضوح، نزل "فضيلة" إلى الحفرة ومعه بعض رجال الشرطة، طلب "فضيلة" من ميلاد أن يستمر فى تشتيت الأرصاد حتى يعود مرة أخرى، استطاع "فضيلة" من الدخول إلى المقبرة من ذلك الباب، تبعه رجال الشرطة .

حينما دخل "فضيلة" إلى المقبرة، اشعل رجال الشرطة المشاعل التي أخذوها معهم قبل الدخول ليظهر ذلك المشهد.

مشهد في غاية الأسى، الكثير من جثث الرجال ملقاة بداخل المقبرة، الكثير من الجثث جاحظة الأعين، حينما تنظر

إليهم تشعر أن تلك الأجساد امتص ما فيها من سوائل، لتُترك كهياكل عظمية مكسوة بالجلد ..

علم "فضيلة" فيما بعد أن عدد الجثث وصل إلى 100 جثة .. 100 جثة .. لـ 100 رجل .. لـ "100 عبيط".



الفصل الخامس : السر

"كل من يقوم بدخول هذا القبر ويقوم بأعمال شريرة تجاهه أو يدمره، أو يخرج منه مومياتي، فلن يوّرَث أبناؤه أملاكه، ولن يعيش ليَسعَد قلبه في الحياة، كما أن روحه ستهلك إلى الأبد، وسأكون خصيمه في الحياة الأخرى " .. (كا - رِع).

كلمات حُفرت على جدران المقبرة من الداخل، كلمات عندما تنظر إليها تشعر وكأنك تستطيع قراءتها، قد لا تبدو من الوهلة الأولى مفهومة، أو قد تراها مُجرد نقوش ورسومات لبعض الطيور بجانب رسومات لمفتاح الحياة الشهير وبعض من الدوائر والثعابين، ولكن إن دققت النظر في تلك الرسومات، تشعر وكأن صوتا ما يحدثك من داخل عقلك .

. دخولك هنا، هو أكبر خطأ قمت به في حياتك .

التفت "فضيلة" لمصدر الصوت، ليجد نفسه ينظر إلى قائل الجملة السابقة.

وكان المشهد كالتالي:

شاب يبدو أنه في الثلاثينيات، على بعد خطوات قليلة منه يرتدي جلبابًا أسود وسلسلة عُلقت بها تميمة على شكل عين حورس، نقوش ذهبية على ياقة الجلباب والأكمام، عينان تم تكحيلهما بعناية، هدوء تام يسيطر على هذا الشخص، يمسك بيده عصا خشبية على شكل ثعبان بها جوهرتان حُمر، وضعتا مكان عيني الثعبان .

نظر "فضيلة" حوله، فوجد الرجال الذين دخلوا معه إلى المقبرة كل منهم مشغول بشيء ما، منهم من يتفحص المقبرة، منهم من يفتش عن شيء ما أو يتفحص الجثث ليتأكد من هلاكهم جميعا, منهم من يحاول إزالة التراب عن تمثال حجري مُلقى على الأرض، ولكن مهلًا، حركة الرجال بطيئة للغاية، إن دققت النظر تشعر وكأنك تشاهد فيلما بالتصوير البطيء "slow motion", إنْ نظرت حولك تشعر وكأنك داخل قناة زجاجية تربط بينك وبين هذا الشخص, كأنك في عالم صنع لأجلك، وباقي الرجال في عالم آخر ..

. ركز معايا !

قالها الشخص، لينقل "فضيلة" تركيزه إليه، ويبدأ بتفحصه للمرة الثانية، مهلا عيناه مشقوقتان بالطول .

بدأ الرجل بالتعريف عن نفسه قائلا:

. "سارويل" ابن "شيصان" الرصد المسؤول عن حراسة المقبرة منذ آلاف السنين، قائد آلافاعي والتماسيح، أرى بعيون الصقور، تجدني كالعقرب بين الصخور .

رد "فضيلة" ساخرا:

. "فضيلة"، احم ، بس .

صمت "فضيلة" قليلا ثم أضاف:

. أبويا عنده فدانين أرض، وبيت في نص البلد، ومصاحب جنّ، بس هادي عن حضرتك شوية كده، بيحكي قصص بس، ويوم ما بيحصل عركة زي دلوقتي، بيجيب أصحابه علشان يتخانقوا معاه .

. ماذا تقول ؟

. لا ابدًا، بقولك فُرصة سعيدة، بس مش عارف ليه حاسس إن الجو غريب شوية !

أجاب الرصد بلا مبالاة:

. هذا بفعل النطاق الزمني، يساعدنا على التحدث بخصوصية، واختصار الوقت .

واصل " سارويل " كلامه، متجاهلًا نظرات "فضيلة" له، وبدأ في سرد قصة جديدة .

منذ آلاف السنين اشتهرت مصر القديمة بالسحر، كان السحر لدى القدماء المصريين، من الأشياء المُهمة في حياتهم، ارتبط السحر لدى القدماء المصريين بالدين، وبناء عليه، ارتفعت مكانة الكهنة لدى الفراعنة بتعليمهم السحر .

كان السحر الأكثر شيوعًا لدى الفراعنة هو السحر الوقائي أو السحر الدفاعي، وكان الهدف منه، طرد الأرواح الشريرة، وتجنب الحسد، كما كان هناك جزء آخر، الهدف منه القضاء على الأمراض، فارتبط السحر بالطب، وارتفعت مكانته للمرة الثانية .

" كا – رع " كاهن مصري، تعلم السحر وأتقنه على يد كبار الكهنة، برع فيه، فاشتهر بين الفراعنة المصريين بذلك .

لم يكتف بما تعلمه من الكهنة المصريين، ولم يتوقف عند السحر الدفاعي بل ازدادت رغباته في تعلم المزيد من السحر بكافة أنواعه .

بدأ رحلة البحث عن أسرار السحر المُختلفة، وانتقل من مكان لآخر، بحثًا عن أي معلومة تساعده فى إشباع رغباته فى تعلم السحر. بعد الكثير من سنوات البحث والاطلاع، و الكثير من المخطوطات التى وجدها وتعاهد على إحراقها بعد تعلم محتواها، وبعد تسخيره لجماعات من الجن، وتعلم المزيد من السحر، أصبح "كا – رع " أقوى ساحر في مصر الفرعونية .

قاطعه " "فضيلة" " قائلًا:

. مسم ! قصة كفاح والله العظيم، إيه المُشكله برضو، مفهمتش ؟

ليجيب " سارويل " ..

. المُشكلة في الجزء القادم من القصة، دعني أكمل .

استكمل الرصد كلامه قائلًا:

شهدت حياة " كا - رع " الكثير من النجاحات، تقرب من الملك، وأصبح المُستشار الأول له، طيلة حياته ، ساعد الملك في الكثير من الحروب، وبمساعدة الجن استطاع الحصول على كثير من الانتصارات التي قدمها هدية إلى الملك في ذلك الوقت .

في سن الخامسة والأربعين، بينما كان نائمًا، حلم " كا . رع " أنّ ثعبانًا ضخمًا يلتف حوله، فيما يحاول هو إبعاد الثعبان عنه ولكنه لا يستطيع، دقائق مرت وكأنها الساعات، دقات قلبه وكأنها طبول الحرب، العرق يزداد على وجنتيه، ينساب على رقبته، نظرات الثعبان تسيطر على تركيزه، يتمايل الثعبان يمينًا ويسارًا ثم ينقض على رأسِه فتظلم الدنيا، ويستمع إلى كلمات قليلة في أذنيه قبل أن يستيقظ من النوم :

. " باقي من الزمن إحدى عشر، بعد الإثنى عشر " .

استيقظ من نومه، لا يدري ما يفعل، لأول مرة يدرك أنه ضعيف، بعد كل ما حصل عليه من القوة، ما زال ضعيفا !

ذهب إلى الملك، وأخبره عن الرؤيا التي جاءته، لم يدرك الملك ما يريد أن يخبره به، فطلب منه أن يُفسر له الرؤيا .

أخبره " كا - رع " معللا:

. أما الثعبان، فما هو إلا الموت، الموت الذي يحاصر الإنسان، منذ لحظة ميلاده، فمهما بلغت من القوة، سيظل هو أقوى منك، وأما بخصوص الإحدى عشر، فهي الأيام المُتبقية لي، و الإثنى عشر، فهي عدد شهور السنة، أي: إن وفاتي، ستكون بعد عام وإحدى عشر يوما .

***

خرج "عماد" من المنزل مسرعًا تبعه "فتحي" مُنزعجا:

. انت يا عم، انت إيه حكايتك بقى، من ساعة ما جيت وانت ممرمطني ؟

رد "عماد" كاظما غيظه:

. انت عارف أنا نفسي في إيه يا "فتحي" ؟

ليجيب "فتحي" سريعا:

. نفسك تتعشى أكيد، أنا كمان جعان .

. لا بالعكس، نفسي تسكُت .

. ماشي يا "عماد" هسكت ..

لحظات وتحدث "فتحي" مرة أخرى:

. طب بقولك إيه يا "عماد" .

ليجيب "عماد" بنفاذ صبر:

. هاه، إرغي .

. ما تعتبرني زي أخوك الصغير وتفهمني في إيه ؟

. طيب مدّ شوية، علشان نلحق نوصل، وأنا هحكيلك كل حاجة .

***

نزلت كلمات " كا – رع " على الملك كالصاعقة، فقد كان الملك يؤمن بقدرته على التنبؤ بالمُستقبل عن طريق بعض الرؤى التي لم تضل طريقها، ولو لمرة واحدة.

نظر الملك إليه بتوتر قائلا:

. وماذا ستفعل الآن ؟

ليجيب عليه:

. لا شيء، فقط سأعيش ما تبقى من عُمري، مُتناسيا موعد رحيلي، إلى الحياة الأخرى .

رد عليه الملك وعلى وجهه الكثير من علامات الأسى والحيرة:

. لن تكون نهايتك عادية، يجب أن تُخلد في التاريخ، سأعطيك ما لم أعطه لأحد من قبل، سأبني لك مقبرة ضخمة، لتكون ملاذًا لك حتى نجتمع سويا في الحياة الأخرى، كما ستكون مراسم دفنك ملكية .

. شكرا لك سيدي ، ولكن أرجو أن تكون مراسم دفني عادية، كما أنني أفضل أن أموت ومعي ما تعلمته من أسرار لا أريد مقبرة ضخمة، لا أريد لأحد أنْ يبحث عن تاريخي، أو يحاول أنْ يتعلم ما تعلمته، لا أريد أن أكون رمزا !

. حسنًا، بما أن الكلمة قد فارقت شفتاي، فإني لن أعود عن قراري، سأبني لك هرما، لم يكن لأحد قبلك، لن يكون هرمًا كأهرام الملوك، سيكون أول هرم مقلوب في التاريخ، قاعدته إلى الأعلى ورأسه إلى الأسفل، "سيدفن في الرمال، ولن يعرف أحد عنه أي شيء، سيكون مثواك الأخير، لك كامل الحرية أن تأخد معك ما تريد، حتى تستمتع برحلتك إلى العالم الآخر ..

لم يستطع أن يرفض قرار الملك .

وبالفعل، بدأ الملك بناء الهرم المقلوب، كهدية لكاهنه المُقرب .

وفي تلك الأحيان بدأ " كا – رع " للمرة الأولى بتدوين ما تعلمه من السحر، على أوراق البردي، كما بدأ بجمع كل الأشياء التي استعان بها يومًا من الأيامِ، لتنفيذ أعماله السحرية .

عام كامل، مر عليه ما بين رصد لما تعلمه على الورق والتمائم، وبين تعلم المزيد من السحر، كما حاول أن يكون توثيقه كاملا للسحر الفرعوني، وحينما انتهى كان " كا - رع " أول من جمع السحر الفرعوني كله في مكان واحد .

***

. بس يا سيدي، افتكرت "رضا" اللي سألتك عليه، لقيتك بتقولي لقوا جثته في الترعة من غير دماغ، شكيت إن ظهور رضا ليا مع حسن وماتش الكورة اللي حسن كان عايزني ألعبه معاه، إشارة لمكان رأس "رضا"، روحت للشجرة اللي حسن قالي إنه مخبي الكورة وراها، وزي ما توقعت لقيت رأس "رضا".

وحينما انتهى "عماد" من سرد القصة، قال "فتحي" صارخا:

. هار اسود، يعني كلنا هنموت ؟

أجاب "عماد" محاولا تهدئته:

. يا عم متقلقش، إن شاء الله محدش هيموت .

. مقلقش إزاي، وأنا اللي كنت فاكر إن في عصابة هي اللي بتقتل العيال !

. حاول تهدى يا "فتحي"، ومتوترنيش .

. أوترك ايه بس؟ كلنا هنموت !

. طب ركز معايا، علشان مموتكش أنا بنفسي، دلوقتي أنا عايز أروح الكوخ بتاع عم "ميلاد"، ومش فاكر كان فين بالظبط، تاني حاجة في مُفتاح معاك، "فضيلة" كان سابهولك قبل ما يموت، صح؟

" حافظ على المفتاح ده كويس، هتحتاجه في يوم من الأيام . "

أجاب "فتحي" مُندهشا:

. آه، صح !

. طيب أنا عايز المُفتاح ده .

صمت "فتحي" قليلا ثم قال:

. بالنسبة لكوخ عم "ميلاد" قريب مش بعيد، لكن المُفتاح حاليا مش معايا، سايبه في بيتنا اللي في كفر فقر .

. أمال البيت اللي في 100 عبيط ده يطلع إيه ؟

. ده بيت العيلة، لكن بيت أهلي أنا في كفر فقر، زمانهم هناك دلوقت، حضرولنا العشى ومشيوا، انت عايز المُفتاح ليه صحيح ؟

. روح هاته، ولما ترجع هعرفك كل حاجة .

. حاضر، على العموم الكوخ بتاع عم "ميلاد" هناك أهو، خلص اللي هتعمله، وارجع استناني عند بيت "فضيلة"، هجيب المُفتاح اللي انت عايزه وأجيلك .

قالها "فتحي"، والتفت مُسرعا، يهرول في اتجاهٍ آخر .

وقف "عماد" أمام الكوخ، يتذكر اللقاء الأول، بينه وبين "فضيلة"، لا يدري هل كان أحمقًا، عندما تخيل أن لقاءه الأول بـ"فضيلة" و"ميلاد" كان دعابة، أم أن الغباء ما يفعله الآن ؟

اقترب "عماد" من باب الكوخ، نظر حوله ليتأكد أن لا أحد يراه، ثم دفع الباب بكلتا يديه، ودخل .

***

مرت الإحدى عشر يومًا بعد العام، في تلك الأحيان، كان الملك قد انتهي، من بناء الهرم، لـ " كا – رع "، وأصبح على استعداد للموت ، جمع "كا – رع " في مقبرته، كل علوم وفنون السحر الفرعوني، إيمانا منه، بأنه يومًا ما سيعود للحياة، وعندما يعود سيكون لديه كل ما يحتاجه داخل مقبرته.

جاء اليوم الموعود ، كان " كا – رع " على أتم الاستعداد للموت، بعدما انتهى من تجهيز المقبرة، أطلق الكثير من اللعنات عليها حتى تحميها من اللصوص، كما جمع الآلاف من الرصد، لحماية المقبرة بعد وفاته، بعدها، تمدد على سرير حجري بغرفة التحنيط بالمقبرة "الهرم المقلوب"، ألقي التحية على الملك يودعه، ثم أخرج زجاجة صغيرة بها بعض السم، ارتشف منها بعض القطرات ثم أغلق عينيه، ونام إلى الأبد .

. وبذلك أكون أنا المسؤول عن حراسة هذه المقبرة في الوقت الحالي .

قالها " سارويل " ثم نظر إلى "فضيلة"، ليجد علامات الصدمة والحيرة على وجهه، ما لبث أن قطع هذا الصمت، دخول "علي المارد" من باب المقبرة، ليختفي " سارويل " من أمام "فضيلة" على الفور، ويعود "فضيلة" إلى عالمه الطبيعي .

انحنى "علي المارد" على أذن "فضيلة" ليخبره أن الحرب بينهم وبين الرصد، توشك على الانتهاء ولكن لصالح الرصد، وأن القوة التي أُمنت بها المقبرة، قوة أكبر من أن يواجهها "علي المارد" أو أي جماعة من جماعات الجن الأخرى، فالرصد مُنظمون للغاية، ويحاربون ببسالة، لن يتركوا المقبرة إلا أمواتًا .

سمع "فضيلة"، كلمات "علي المارد" ما لبس أن أخبر، كل الرجال الموجودين بالمقبرة، بضرورة الخروج منها في الحال، أشرف "فضيلة" على خروج جميع الرجال، وفي طريقه للخروج من المقبرة، سقطت عيناه على بعض الأوراق، أوراق كُتبت بلون الدم عليها بعض النقوش والزخارف.

نظر "فضيلة"، إلى الفجوة التي سيخرج منها، ثم نظر مرة أخرى إلى الأوراق، لم يستطع أنْ يقتل فضوله، على معرفة ما تخفيه تلك الأوراق .

أخذ "فضيلة" تلك الأوراق، وأخفاها داخل الجلباب، وخرج من المقبرة سريعًا، والتي سرعان ما اهتزت، وغاصت في باطن الأرض قليلا، ليكتشف "فضيلة" بعدها، أنّ وجود تلك الأوراق معه، هو أكبر خطأ ارتكبه في حياته .

***

داخل الكوخ يوجد حصيرة على الأرض "سجادة من الخوص" كما يوجد بعض الوسائد التي رصّتْ حول تلك الحصيرة، يوجد منضدة وضع عليها موقد صغير، وبراد شاي، التراب يغطي كافة المكان ..

وقف "عماد" يستكشف المكان، لا يدري من أين يبدأ، انحنى "عماد" على الأرض، وبدأ في البحث .

بدأ "عماد" بالبحث أسفل الحصيرة، لكنه لم يجد شيئًا، بعدها بحث بين الوسائد لكنه أيضًا لم يجد شيئًا، اتجه "عماد" نحو المنضدة وعاد للبحث مرة أخرى، وبينما هو مُنهمك في بحثه، شعر "عماد" بهواء ساخن يصطدم بقفاه، التفت "عماد" لمصدر الهواء لكنه لم يجد شيئا، عاد مرة أخرى لمعاودة البحث، بعدها شعر "عماد" بالهواء يصطدم في أذنه اليسرى، التفت "عماد" لمصدر الهواء ثانيا لكنه لم يجد شيئا، في تلك اللحظة شعر بالهواء في أذنه اليمنى ليلتفت سريعا لمصدر الهواء، ليجد ذلك الشخص، ينظر إليه وعلى وجهه ابتسامة بلهاء، ما لبث أن قال:

. هاه، لقيته ؟

تمدد بعدها الرجل في الهواء، حتى انحنت قامته، على سقف الكوخ،صرخ "عماد" من هول المُفاجأة، وانطلق يجري في اتجاه الباب .

أمسك "عماد" الباب بكلتي يديه محاولا فتحه، لكن الباب لم يستجب له، نظر "عماد" خلفه وهو يحاول سحب الباب بعنف، ليجد أن الرجل لم يعد موجودا، التفت "عماد" إلى الباب مرة أخرى وبدأ في جذب الباب بهستريا ولكن الباب لم يستجب، نظر "عماد" بجانبه ليجد الرجل ينظر إليه وعلى وجهه نفس الابتسامة قائلا:

. مش هيفتح، عارف ليه ؟! علشان أنا زانقه برجلي .

أشار الرجل على قدمه، فنظر "عماد" ليجد أن الرجل بالفعل يمنع حركة الباب، رجع "عماد" خطوتين إلى الخلف صارخًا، سقط بعدها على الأرض، ونظر للرجل الذي ازدادت ابتسامته اتساعًا، صرخ "عماد" أكثر من مرة، بينما ظل الرجل مبتسمًا .

دقائق مرت على "عماد" لا يدري ماذا يفعل، بدأ "عماد" في تجميع ما تبقى من أنفاسه وبدأ في تفحص الرجل للمرة الأولى .

شاب في الثلاثين من العمر قمحي اللون، يرتدي جلبابًا أزرق، ولديه شارب طويل مسحوب من الجانبين لأسفل، صمت "عماد" قليلا ثم قال:

. انت مين يا عم انت، وطلعتلي منين ؟

أجاب الرجل مندهشا:

. مش معقوله معرفتنيش، أنا "علي".. "علي المارد"، أمال مين اللي كان بينام جنبك كل يوم ؟

. يا فتاح يا عليم، يا رزاق يا كريم، الواحد مش عارف يفرح إنه عرف مين اللي كان بينام جنبه، ولا يزعل، إنه طلع عفريت !

أشار "علي المارد" بالنفي لـ"عماد" قائلا:

. لا يا باشا، أنا مارد، مش عفريت !

ليجيب "عماد" منفعلا:

. وتفرق في إيه إن شاء الله، مش كلكوا فصيلة واحدة " جن" ؟

. تفرق كتير، المارد ده بيبقى حجمه كبير، لكن العفريت ده بيبقى صغير، ده غير إن .. بقولك إيه

سيبك من الكلام ده، انت بتعمل إيه هنا ؟

أجاب "عماد" ببساطة:

. في مفتاح عم "فضيلة" كان سايبه لعم "ميلاد"، المفروض إن عم "ميلاد" كان سايبه هنا في الكوخ ده، وكانت وصيته قبل ما يموت إن محدش يهد الكوخ بتاعه، علشان يفضل مكان المُفتاح معروف .

. يا راجل، طب ما تقول كده من الأول !

. ده على أساس إني أعرفك، دانا أول مرة أشوفك حالًا، بعدين إنت ماشي حافي ليه ؟

. نسيت الشبشب في البيت !

. تصدق أقنعتني، المفروض أعمل إيه دلوقت علشان ألاقي المفتاح ؟

. ولا أي حاجة، هتحفر مكان ما انت قاعد بالظبط، أيوة هنا .

قالها "علي المارد" في حين بدأ "عماد" بالحفر .

. هتلاقي علبة معدن، أيوة بالظبط هي دي .

نظر "عماد" إلى العلبة، غير مصدقًا نفسه، ليكمل "علي المارد":

. هتلاقي فيها المُفتاح، أيوة بالظبط هو ده .

ليقول "عماد" مبتسما:

. تصدق انت عفريت بجد يا أستاذ "علي"!

فيجيب "علي المارد" باستياء:

. مارد، مش عفريت .

الفصل السادس : اللعنة

عاد "فتحي" إلى بيت "فضيلة" مُسرعًا، أخرج هاتفه المحمول وبدأ في الاتصال بـ"عماد"، والذي سرعان ما أجاب عليه:

. ألو، أيوة يا "عماد"، أنا جبت المفتاح .

. طب كويس جدًا، أنا كمان لقيت المُفتاح التاني .

. هايل، انت فين دلوقت ؟

قالها "فتحي" وهو يفتح باب المنزل، ليجد "عماد" جالسًا أمامه على كرسي ينظر إليه، فيسمع صوته مرتان، مرة من "عماد" نفسه، ومرة من صوته الذي يأتيه من هاتفه المحمول .

. أنا قدامك أهو !

قالها "عماد" ليغلق "فتحي" الهاتف المحمول، ويكمل حديثه مع "عماد" قائلًا:

. انت دخلت هنا ازاي، مين اللي فتحلك الباب ؟

. هو اللي دخلني !

أشار "عماد" في مكانٍ ما نحو " "علي المارد" "، نظر "فتحي"، فلم ير شيئا.

. مين ده اللي دخلك ؟!

. العفريت صاحب جدك "فضيلة" !

أشار "علي المارد" " نحو "عماد" بالنفي قائلًا:

. مارد مش عفريت .

ليجيب "عماد" بابتسامة ساذجة:

. مش فارقة كتير .

أكمل "فتحي" حديثه بجزع:

. انت بقت مخاوي انت كمان يا "عماد" ؟

ليجيب "عماد" حائرا:

. مخاوي ؟ والله يا "فتحي" مش عارف، على العموم، خلينا في موضوعنا، فين المُفتاح ؟

قالها "عماد" وفتح يده استعدادًا لأخذ المُفتاح، وضعه "فتحي" في يد "عماد" قائلا:

. مقولتليش بقى المُفتاح ده بتاع إيه ؟

أجاب "عماد" بثقة:

. هتعرف حالًا !

***

خرج "فضيلة" من المقبرة مُسرعًا بعدما تأكد من خروج جميع الأشخاص منها، طلب من "على المارد" أن يخفي الأوراق التي بحوذته لحين طلبها منه مرة ثانية .

اهتزاز الأرض وابتلاعها للمقبرة، أبعد رجال الشرطة وأهالى القرية بعيدًا عدة مترات من أجل الحفاظ على سلامتهم ، وقف "فضيلة" ينفض الرمال من على جلبابه، وحينما انتهى وجد عشرات الوجوه التي تنظر إليه، تحاول العثور على تفسير لما حدث .

طلب "فضيلة" من " شمس " قائد الشرطة فى ذلك الوقت، أن يجمتع معه هو وكبار البلد ليشرح لهم ما حدث في اجتماع مُغلق .

كان شمس فى ذلك الوقت شابًا قد تجاوز الثلاثين من العُمر. شاب قاهري أُرسل إلى كفر فقر ليقوم بتأمينها وحمايتها هى وبعض القرى المحيطة بها، أبيض البشرة، عيناه خضراوتان، مفتول العضلات .

بعد ساعات معدودة كان "فضيلة" مُجتمعًا بهم ومعه "ميلاد" في منزله وبدأ في شرح القصة، وحينما انتهى، صاح " شمس " قائلًا:

. المطلوب مني إني أصدق الكلام ده، عايزني أكتب في التقرير، إن وفاة ظابط واختفاء جثة 100 شخص، نتيجة مقبرة فرعونية ملعونة، عايزني أنهي حياتي الوظيفية بإيدي؟ عايزني أبقى أضحوكة وسط زمايلي، على آخر الزمن المفروض إني أصدق واحد نصاب ومشعوذ زيك ؟

ابتسم "فضيلة" ثم قال بهدوء:

. وجودك دلوقتي هنا مالوش غير تفسير واحد بس، إنك مؤمن بوجود قوة أكبر مني ومنك، وإلا مكونتش طلبت مني أساعدك في دخول المقبرة من الأساس !

قاطعه " شمس" متذمرا:

. أولا أنا مطلبتش مساعدتك علشان أنا مؤمن بيك ولا بالخرافات اللي بتنشرها بين الناس، بيك أو من غيرك أنا كنت هدخل المقبرة، وإذا كنت طلبت مساعدتك فبناء على رغبات الناس اللي كانت موجودة، وعلشان اهدي من حدة الموقف، ومستخدمش القوة لتفريق الأهالي !

نظر "فضيلة" إلى الضابط ثم نظر إلى الرجال الموجودين بالغرفة، والذين التزموا الصمت، ثم أكمل "فضيلة" والابتسامة لا تفارق شفتيه:

. جميل، تحب اثبتلك كلامي ازاي ؟

صمت الضابط قليلا، ثم نظر إلى "فضيلة" بتحدي:

. الموضوع بسيط، مش بتقول إن اللي بيحمي المقبرة من الجن، وانك عندك القدرة في التعامل معاهم، أنا مش مصدقك، في مثل أجنبي بيقول (صدق نصف ما ترى ولا شيء مما تسمع) يمكن لو شوفت أصدقك !

ضحك "فضيلة" بسخرية:

. عايز تشوف جن؟ بسيطة !

أشار "فضيلة" إلى الجدار الموجود خلفه مُرددًا بضع كلمات غير مفهومة، لحظات مرت دون حدوث أي شيء، مالبث أنْ قاطعه الضابط قائلا:

. عرفت انك نصاب؟ الكلام ده تضحك بيه على الغلابة من أهل البلد لكن متضحكش بيه عليا، عيب اللي انت بتعمله ده إحنا ناس مُتعلمين، أنا هطلع حالا من هنا، هكلم هيئة الآثار، تيجي تشوف شغلها !

أغمض "فضيلة" عينيه، ثم قال بثقة:

. دلوقتي.

كان المشهد كالتالي:

الرجال يجلسون في ترقب، يصنعون نصف دائرة حول "فضيلة"، في المُنتصف يصعد جسم ما غريب من باطن

الأرض، يتشكل الجسم مُتخذًا شكل عنزة صغيرة، تجري في اتجاه "فضيلة" ثم تعبر من خلاله، وتكمل حتى تصل إلى الجدار تتسلقه، تنظر إلى الرجال بالغرفة، عيناها حمراوتان يتطاير منهما الشرر، تصدر صرخة وكأنها تتعذب، ثم تغوص مرة أخرى داخل الجدار.

لحظات من الصمت مرت، لا أحد يتحرك من الرجال، كل منهم يكتم أنفاسه غير مصدق لما يرى، يبتسم الضابط للمرة الأولى محاولا التماسك ثم يقطع الصمت قائلا:

. خدعة حلوة، مش هسألك عملتها ازاي، بس ده مش هيغير أي حاجة .

يقاطع الضابط رجل في الثلاثين من عُمره كان يجلس بجواره قائلا:

. انت هتتعبنا ليه معاك؟ المقبرة دي مش هتتفتح وحتى لو حاولت تفتحها، أهل البلد كلها هتموت، وأولهم انت !

ليقاطعه الضابط بحزم:

. انت مين علشان تتكلم معايا بالشكل ده ؟

ليجيب الرجل بثقة:

. أنا "علي" !

. "علي" مين ؟

تمدد جسد الرجل حتى لامس سقف الغرفة قائلًا بحبور:

. "علي المارد" !

صاح كل من بالغرفة في وقت واحد، مرددين كلماتٍ مثل:

" الله أكبر ".. " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " ..

تقلص حجم "علي المارد"، وعاود "فضيلة" كلامه:

. ركزوا معايا، الموضوع أكبر مننا كلنا، وزي ما قال "علي": أي حد هيحاول يفتح المقبرة، يبقى كتب علينا كلنا الموت.

نظر الرجال مرة أخرى نحو "علي المارد"، ليجدوا أنه اختفى، قاطعه الضابط قائلا:

. والعمل دلوقت ؟!

أجاب "فضيلة" بوضوح:

. اللي حصل النهاردة لازم يفضل سر بينا، أنا جمعتكوا علشان عارف إن انتوا أكتر ناس هتقدر تساعدني، لازم المقبرة دي تفضل مقفولة ..

أشار "فضيلة" إلى جميع الرجال الموجودين قائلا:

. كل واحد فيكوا يقدر يقنع أهله إنهم يفضلوا بعيد عن المقبرة، ويتناسوا اللي حصل.

ثم أشار للضابط بثبات:

. بالنسبه ليك، انت أكتر واحد تقدر تقفل على الموضوع، حياتك وحياة البلد دي واقفة على التقرير اللى هتسلمه، لو كتبت فيه إن مفيش مقبرة، والمفروض إن حاليا مفيش مقبرة، هتنقذنا كلنا، لو كتبت إن في مقبرة، يبقى حكمت علينا كلنا بالإعدام!!

تساءل الضابط مُحتارا:

. بفرض اني كتبت إن البلاغ كاذب، الضابط اللي مات هجيبه منين ؟!

أجاب "فضيلة" ببساطة:

. الضابط مات فعلا، بس مش فى المقبرة، بالنسبة للجثة بتاعته، أي جثة مشوهة هتفيد بالغرض، اعتبره غرق فى الترعة وهو رايح يعاين الموقع, لو عايزنا نولع فى بيت ونجيبلك جثة محروقة، هنولع، وأنا واثق إنك هتعرف تتصرف.

أضاف "فضيلة":

. العساكر اللى عندك مش هتتكلم، وحتى لو اتكلمت، مش هيبقى أكتر من خرافة بتنضاف لخرافات تانية كتير، زي النداهة وأبو رجل مسلوخة، انت ناسى إن انتوا مُتعلمين، وإن مفيش في تقارير الشرطة حاجة اسمها جن ؟

ما هي إلا أيام، وبمساعدة "شمس" ضابط الشرطة حتى أصبحت مقبرة "ال 100 عبيط" مُجرد خرافة جديدة مُنتشرة بين أهالي القرية والقرى المُحيطة، ولكن القصة لم تنته !!

دخل "عماد" إلى مكتب "فضيلة" للمرة الثانية وبدأ في تفحص المكتبة وبجانبه "فتحي"، بدأ "عماد" في قراءة أسماء الكُتب مشيرا بأصبعه عليها حتى وصل إلى كتاب بعنوان "الإعجاز المُبين في جلب القرين"، سحب "عماد" الكتاب من على الرف مُحدثا "فتحي":

. عرفت ليه البلد دي مبتموتش؟ تلاقي عم "فضيلة" استخدم الكتاب ده قبل ما يموت !

ليسارع "فتحي" بالسؤال:

. هتعمل إيه بالكتاب ده ؟!

فيجيب "عماد" ضاحكا:

. ولا حاجة، "فضيلة" كان عنده باب سري بيدخله لأوضه تانية، المفروض لما تشوف مكتبة بعد كده تعرف إن وراها باب، ده بقى أمر بديهي بالنسبة لي.

سحب "عماد" المقبض الموجود أسفل الكتاب، فتحركت المكتبة بالجدار الموجود خلفها، وانفتح الباب ليزيد من دهشة "فتحي" مُتسائلا:

. عرفت منين الكلام ده ؟

ليجيب "عماد" متباهيا:

. هيكون منين؟ "فضيلة" هو اللي عرفني !

حينما هدأت الأمور في البلد، طلب "فضيلة" من "علي المارد" أن يعطيه الأوراق التي أخذها من المقبرة قبل خروجه منها .

جلس "فضيلة" - الشاب – على سريره في غرفته، واضعا الأوراق أمامه وبدأ يتفحصها . أوراق من البردي كُتبت بالمداد الأحمر ((حبر فرعوني يستخدم في الكتابات الهامة)).تحتوي على كثير من أسرار السحر الفرعوني، سرت رعشة خفيفة في جسد "فضيلة" حينما استشعر قوة الأوراق التي أمامه، ماذا سيحدث لو وقعت تلك الأوراق بين يدي الشخص الخطأ؟

ظهر "علي المارد" من جانب الغرفة، واقترب من "فضيلة" مُحدثا إياه:

. السحر الفرعوني، أقوى سحر عرفته البشرية على مر التاريخ، مفيش كاهن كان عنده القدرة إنه يدوّن السحر اللي اتعلمه على ورق! الكهنة خافوا إن قوة السحر دي تقع في إيد الشخص الغلط، تعاليم السحر كانت بتنتقل شفوي من شخص لشخص، يبدو إن المقبرة اللي إحنا دخلناها مش مقبرة ملك، مقبرة كاهن، ويبدو كمان إن ده أول كاهن في مصر الفرعونية يكون عنده الشجاعة إنه يدون السحر الفرعوني على ورق، الجميل في الموضوع إن الورق ده بين إيديك دلوقت، هتعمل إيه ؟

خرج "فضيلة" من البيت مسرعًا متجهًا إلى "ميلاد" ليخبره بالأمر ، وجد "فضيلة" "ميلاد" أمام الكوخ يشرب الشاي متأملًا الزرع الأخضر أمامه، قطع "فضيلة" تأملاته معللًا إنه يريده في أمر هام .

داخل الكوخ، جلسا "فضيلة" و"ميلاد" سويًا، وبدأ "فضيلة" في إخباره عن سر الأوراق التي بين يديه ، اتسعت عينا "ميلاد" من هول المفاجأة، تردد قليلا، ثم سأل "فضيلة":

. هنعمل إيه بالورق ده ؟

أجاب "فضيلة" بلهفة:

. هنتعلم اللي فيها ، مش هسيب الفرصة دي تضيع مني ، قليل اللي اتعلموا السحر ده ، ومش موجودين دلوقتي ، دي فرصتنا !

تعلم "فضيلة" و"ميلاد" بمساعدة "علي المارد" السحر الفرعوني، وبدأت قوتهم تزداد يوما بعد يوم .

في تلك الأحيان، أدرك "فضيلة" أن سرقته لتلك الأوراق من المقبرة، قد أشعلت لعنة جديدة في البلدة، لم يستشعر أهالي البلدة تلك اللعنة، ولكن "فضيلة" كان على دراية بما يحدث من حوله.

بتعلم "فضيلة" و"ميلاد" للسحر الفرعوني، استطاعا سويًا السيطرة على اللعنة.

بعد مرور سنوات، توفي والد "فضيلة"، ورث بعدها "فضيلة" مجموعة كبيرة من الأراضي المتجاورة، أقام عليها منزله الحالي، وبدأ في بناء بعض البيوت الأخرى.

أطلق "فضيلة" على تلك الأراضي اسم عزبة "الـ 100 عبيط"، ليعيد إشعال الخرافة من جديد بين أهالي القرية والقرى المجاورة، كان هدف "فضيلة" من التسميه تذكير الناس بما حدث في الماضي، حتى لا يبحث أحد عن تلك المقبرة، وإن وجدها شخص ما عن الطريق الصدفة لا يدخلها.

وضع "فضيلة" الأوراق داخل خزنة بمفتاحين، بغرفة سرية خلف مكتبة داخل مكتبه، أعطى "فضيلة" مفتاحًا لـ"ميلاد"، وترك المفتاح الآخر معه، وتعاهدا هو و"ميلاد" على حفظ سر تلك الأوراق للأبد.

ازدادت قُوَّتا "فضيلة" و"ميلاد" بزيادة تعلمهما لأسرار السحر الفرعوني، وسيطر "فضيلة" بمساعدة "ميلاد" على اللعنة التى أصابت القرية، حتى اقتنعا سويا أنهما انتصرا على اللعنة وأنها انتهت للأبد!

بعد عدة سنوات مرض "ميلاد"، بعدها توفي، ليجد "فضيلة" نفسه وحيدا في مواجهة تلك اللعنة التي لم تمت،

وليجد نفسه مسؤولًا عن حماية أهل القرية خصوصًا نسل الرجال الذين دخلوا المقبرة من قبل .

استطاع "فضيلة" وحده أن يحافظ على أهل قريته من تلك اللعنة التي حررها عندما سرق تلك الأوراق، حاول أن ينهي اللعنة إلى الأبد، وبدأ في محاربة الرصد في كل مكان يوما بعد يوم، ولكن بعد مرور عدة سنوات أخرى، أصاب المرض جسد "فضيلة"، وبدأ الإعياء يظهر عليه، وفي لحظة ما، فشل "فضيلة" في السيطرة، على اللعنة.

كان مرض "فضيلة" بمثابة إشارة ليبدأ الرصد في تلبية نداء اللعنة التى أطلقها "كا – رع" منذ آلاف السنين، وبدأوا في القضاء على كل من دخل المقبرة، وعلى عائلاتهم.

بدأ الرصد في قتل الأطفال أولًا، حتى يحرقوا قلوب آبائهم وأجدادهم، ثم سينتقلون إلى آبائهم بعدها إلى الأجداد وهكذا، حتى لايتبقى منهم أحد .

قبل وفاة "فضيلة" بعدة أيام أعطى مفتاح الخزنة التي يوجد بها الأوراق إلى "فتحي"، وطلب منه الاحتفاظ به:

" حافظ على المفتاح ده كويس، هتحتاجه في يوم من الأيام"

مات "فضيلة"، وبموته تحررت اللعنة للأبد

ولكن كان لدى "فضيلة" قبل وفاته، خطة أخرى، لم يكن يدري هل ستنجح أم لا ؟

أحضر "فضيلة" قرينه ومجموعة أخرى من قُرناء الأموات إلى عالمه لسياعدوه على تنفيذ خطته ..

كان "فضيلة" يحتاج إلى شخصٍ ما ليساعده على إتمام الخطة، فلم يجد غير "عماد"، والذي سمع عنه من "فتحي"، شاب في العشرينات، غير متزوج، من خارج القرية، لن تصيبه اللعنة لو حاول مساعدته، بالإضافة إلى أنه لن يترك صديقه "فتحي" يموت لو علم ما هو مُقبل عليه. وبالفعل، تغلغل قرين "فضيلة" داخل أحلام "فتحي" و"عماد"، وبدأ في تهيئة الأمر، ثم بدأ في الظهور هو وباقي القرناء أكثر من مرة لـ"فتحي" و"عماد" وبدأ في تنفيذ الخطة وشرحها لـ"عماد"

الفصل السابع : المقبرة

دخل "عماد" الغرفة السرية وخلفه "فتحي"، وجد "عماد" زرًا عتيقًا بارزًا لمصباح عليه خيوط عنكبوت على يمين الداخل إلى الغرفة، أضاء المصباح، فارتعشت الإضاءة داخل الغرفة ثم استقرت لتنير المكان.

غرفه عتيقة الطراز، منضدة يستقر عليها مجموعة من الكُتب المفتوحة والتي يغطيها التراب، شمعدان عليه 3 شمعات احترقت أنصاصها ليتساقط الشمع حولها، مجموعة من الكراسي تحيط بالمنضدة، الغرفة باردة، بها أريكة على اليمين بجانبها منضدة صغيرة وضع عليها فازة بها بعض النباتات الذابلة، بعض اللوحات عُلقت على الجدار تحتوي على آيات قرآنية، أما بخصوص الجدار فرسمت عليه مجموعة من الرسومات والحروف، على اليسار يوجد خزنة معدنية، اقترب "عماد" من الخزنة، ووضع بها المُفتاحين، أدار المقبض، فانفتح باب الخزنة ليظهر أمام "عماد" أوراق البردي التي يبحث عنها .

تفحص "عماد" الأوراق ، ثم نظر اتجاه "فتحي" والذي وجده مشغولا، باستكشاف المكان، فقال له :

. المفتاحين دول بتوع الخزنة، أنا لقيت الورق اللي بدور عليه .

تساءل "فتحي" محتارا:

. هنعمل إيه دلوقت ؟

أجاب "عماد" مبتسما:

. هاتلنا بقى العشا، وسبني شوية مع "علي" علشان أشوف هنعمل إيه ؟

نظر "فتحي" حوله باحثًا عن "علي المارد"، فلم يجد شيئا، تحدث "فتحي" إلى نفسه ضاربًا كفًا بكف قائلا:

" لا حول ولا قوة إلا بالله "!

خرج بعدها من الغرفة وأغلق الباب وراءه .

نظر "عماد" في اتجاه "علي المارد" ليجده مُستلقيًا على الأريكة واضعًا يديه خلف رأسه، واضعًا قدما فوق قدم، ينظر إلى سقف الغرفة، مُحركًا إحدى قدميه، وهو يدندن:

. وفي عز ما بغني، بقول بصوت مجرووح، مش هرووح .

. الله يخربيتك! انت عفريت ولا تباع مكروباص؟ وإيه الشبشب البلاستيك اللي انت لابسه ده؟

نظر "علي المارد" إلى "عماد" وهو على نفس الوضعية ثم قال:

. يعني هو حلال ليك، تحط الأغنية دي على تليفونك، وحرام ليا إني أغنيها ؟ وبعدين قلتلك ألف مرة، مارد مش عفريت.

أجاب "عماد":

. يا "علي" يا حبيبي، انت ليه مُصر تبوظ فكرتي عن الجن، انت عارف إننا بنخاف منكوا، ده المفروض يعني!

. أخدت بالي، بتخافوا مننا ليه بقى ؟

. بنخاف منكوا، علشان ضحكوا علينا واحنا صغيرين، وقالولنا انكوا مُرعبين، لكن بعد اللي شوفته منك ده، يوم ما يطلعلي جنّ هعزمه على العشا!

. بخصوص العشا، أنا لسه متعشتش !

. طب ركز معايا، وهولعلك عودين بخور، ولو غيرت الشبشب اللي عمال تطرقع بيه ده، مُمكن انزل معاك على أي قهوة، أطلبلك شيشة تفاح !

. لا أنا عايز شيشة موز، أو لبان.

. هجيبلك اللي انت عايزه، بس ركز معايا، هنعمل إيه ؟

***

ظل "عماد" داخل غرفة "فضيلة" السرية بضعة أيام، وأشرف "فتحي" على خدمة "عماد" طوال هذه الفترة .

زادت حالات قتل واختفاء الأطفال بعزبة "ال 100 عبيط"، والقرى المُحيطة بها ، ازداد الخوف لدى الأهالي، وبدأت تنتشر أسطورة المقبرة الملعونة مرة أخرى ، أخبر "فتحي" "عماد" بمجريات الأمور في الخارج، شعر "عماد" بالحزن لفقدان كل هذه الأرواح.

بعد عدة أيام، خرج "عماد" من الغرفة السرية، ثم أخبر "فتحي" بما ينوي فعله، سيذهب إلى المقبرة الفرعونية، ليعيد الأوراق التي أخذها "فضيلة" مرة أخرى، ويحاول أن يعقد صفقة مع الرصد لتنتهي حالات القتل .

طلب "عماد" من "فتحي"، أن يحضر له مجموعة من العُمال، ليساعدوه على حفر الأرض، للدخول إلى المقبرة .

تحدث "فتحي" عن خوفه الشديد من العودة مرة أخرى إلى المقبرة، ثم سأله عن الضامن لعودته سالمًا وانتهاء اللعنة، فقال "عماد":

. مفيش ضمانات، هو ده الحل اللي قدرت أوصل له، ده غير إنها كانت فكرة "فضيلة" قبل ما يموت ..

صمت "عماد" قليلًا ثم قال:

. انتوا كده كده ميتين، سيبني أجرب، يمكن أنجح!

هزّ "فتحي" رأسه دليلا على الموافقه، ثم ذهب لتنفيذ طلب "عماد".

أحضر "فتحي" مجموعة من العُمال مقابل المال، ليساعدوا "عماد" على حفر الأرض والدخول إلى المقبرة .

ذهب "عماد" إلى موقع المقبرة، وتم تحديد مكان الحفر بمساعدة "علي المارد" ..

وصل العمال إلى باب المقبرة الفرعونية بالفعل، ثم نظر أحدهم إلى "عماد" رافعًا فأسه إلى الأعلى ليحطم الباب، فأخبره "عماد" أن ينتظر .

نزل "عماد" إلى الحُفرة، ضغط "عماد" بقدمه على قطعة من الحجر فانفتح الباب، ثم أخبر العمال أن يبتعدوا عن باب المقبرة؛ لأن الهواء الخارج منها قد يكون مُسمما، مثلما علم "عماد" من قراءاته للتاريخ .

جلس "عماد" ومعه العُمال أمام المقبرة في انتظار أن يتم تجديد الهواء بداخل المقبرة ، بعد مرور يوم كامل، انتشر خبر

محاولات بعض الناس الدخول إلى المقبرة بين الأهالي كالنار في الهشيم ،

خرج العشرات من الأهالي، في محاولة لمنع المُتسللين إلى المقبرة الفرعونية إن وجدت، خوفًا على أرواحهم، مثلما حذرتهم الأسطورة .

وصل الخبر إلى قسم الشرطة، والذي بدوره أرسل فريقًا للسيطرة على الوضع، والقبض على لصوص المقابر الفرعونية من وجهة نظر الشرطة، إن وجدت مقبرة بالفعل .

علم "عماد" من "علي المارد" بما يحدث في الجانب الآخر من البلدة، واقتراب الأهالي والشرطة من موقع المقبرة..

فما كان من "عماد" إلا أن عاد مرة أخرى إلى الحفرة ثم دخل إلى المقبرة ومعه العُمال .

***

بعد مرور وقت قصير كان الأهالي قد وصلوا إلى موقع المقبرة، ليجدوها مفتوحة بالفعل، استمع الأهالي إلى بعض أصوات الحديث التي تأتي من داخل المقبرة، نظر الأهالي إلى بعضهم البعض، فقال أحدهم:

. شكلنا كده كان مضحوك علينا، طول الفترة اللي فاتت دي، في ناس جوة المقبرة .

ازدادت دهشة الأهالي حينما خرجت قطة سوداء من المقبرة، نظرت باتجاههم غير مبالية ثم عادت مرة أخرى إلى الداخل .

استدرك الرجل قائلًا:

. الأسطورة بتاعة المقبرة الفرعونية مش موجودة، فى ناس جوة كلنا سامعين صوتهم، وقُط.. كمان دخل وخرج عادي جدا، المقبرة طلعت موجودة فعلا، بس مفيش لعنة، فى حد اكتشف المقبرة دي من زمان، وعمل القصة دي علشان يمنع أي حد انه يدخلها، أنا هدخل أشوف إيه اللي جوة؟

تسلل الرجل إلى داخل المقبرة تبعه بعض الأهالى، وانتظر البعض الآخر في الخارج، ما لبث أن خرج الرجل قائلا باندهاش وحبور:

. مفيش لعنة ولا حاجة، لازم تشوفوا لقينا إيه!

كانت تلك الكلمات كافية ليتشجع من بقى من الرجال للدخول إلى المقبرة ، بعد عدة دقائق، وصل الفريق الخاص بالشرطة للمقبرة الفرعونية، ليجدها مفتوحة، أصدر قائد الشرطة -ويدعى "ضياء"- أمرًا بالدخول إلى المقبرة، للقبض على اللصوص مُتلبسين.

دخل "ضياء" إلى المقبرة، تبعه جنوده واحد تلو الآخر، بينما ظل البعض منهم لتأمين المقبرة من الخارج، والقبض على من يخرج منها.

بعد دخول مجموعة من رجال الشرطة، اهتزت المقبرة، وانغلق الباب، ليزيد من دهشة بعض الرجال الذين كانوا على وشك الدخول، ويترك الآخرون في حالة من الفوضى، لا يدرون ماذا يجب عليهم أن يفعلوا !

***

في الداخل ..

وقف "عماد" ومن معه في اندهاش من عظمة الحضارة الفرعونية، والإتقان في عمل التماثيل، والرسومات والنقوش ، ازدادت دهشة "عماد" عندما وجد نفسه مُحاطًا بمجموعة كبيرة من الأهالي، ورجال الشرطة الذين صاح قائدهم، موجهًا سلاحه نحو "عماد":

. كل واحد يسيب اللي في إيديه، وينام على بطنه، اللي هيتحرك مش هفكر مرتين قبل ما اضربه بالنار .

بدأ الأهالي في تنفيذ الأمر، كل منهم ينظر إلى الآخر، لا يدري ما يفعل، صاح أحدهم:

. احنا جايين نساعدك يا باشا ونقبض عليهم وكنا هنسلمهم بنفسنا.

ليجيب "ضياء" –الضابط- بضيق:

. مش عايز أسمع ولا كلمة، كل واحد ينام على بطنه، وإيديه لفوق .

ثم نظر إلى جنوده، قائلا بحزم:

. اللي يتحرك من مكانه، اضربوه بالنار.

قطع كلام الضابط مُواءُ القطة، والتي اتجهت كل الأنظار إليها، لتتحرك القطة غير مبالية بما يحدث، وتتجه لتقف أمام "عماد"، وتبدأ في لعق إحدى يديها، لحظات من الصمت مرّت، بعدها تحدث القط بلا مبالاة قائلا:

. أهلا بكم للمرة الثانية في أقل من مائة عام .

ليدب الفزع في أرجاء المقبرة، وعلى وجه الضابط بالتحديد .

دارت القطة حول نفسها بضع دورات، وسرعان ما زادت سرعة دورانها، لتختفي القطة, ويبدأ جسد جديد في التشكل ، بعد لحظات بدأ الجسد في التشكل على هيئة إنسان، شاب في الثلاثينيات يرتدي جلبابًا أسود، وسلسلة عُلقت بها تميمة على شكل عين حورس.. نقوش ذهبية على ياقة الجلباب والأكمام، عينان تم تكحيلهما بعناية، يمسك بيده عصا خشبية على شكل ثعبان بها جوهرتان حمراوتان، وضعتا مكان عيني الثعبان .

تحدث الرجل مُعرفا نفسه:

. " ساروبل " بن " شيصان " الرصد المسؤول عن حراسة المقبرة منذ آلاف السنين .

أشار الرجل بيده نحو "ضياء" وجنوده؛ لتسقط جميع الأسلحة التي يحملونها على الأرض ، رفع كلتي يديه إلى أعلى، ثم أشار نحو "عماد"، لتهتز المقبرة وكأنها على وشك الانهيار ؛ نظر "عماد" إلى وجوه الرجال الموجودين في المقبرة، ليجدهم يتساقطون واحد تلو الآخر على الأرض، وكأنهم في حالة من الغيبوبة الجماعية .

تحدث "ساروبل" إلى "عماد" باستهانة:

. أنا أعلم عنك الكثير، وأعلم لمَ أنت هنا؟ وأعلم أن "ابن مداح" بالخارج.

قاطعه "عماد" ببلاهة:

. ابن مداح مين ؟

ضحك "ساروبل" ساخرا من "عماد":

. أخر ما تبقى من أبناء " مداح ". "علي المارد" ..

. قول وربنا ! أبوه اسمه مداح؟ أنا اعرف ان اسمه "علي المارد"، معرفش اسم أبوه .

أكمل سارويل كلامه:

. قبضنا عليه الآن في الخارج.

ثم أشار خلف "عماد"، ليجد "علي المارد" يجلس على الأرض وهو يبكي..

فوجه "عماد" كلامه مُحدثًا "علي المارد":

. أبوك اسمه مداح ؟ أمال انت اسمك إيه ؟

ليجيب "علي المارد" بقلق:

. سيبك من اسمي دلوقتي خليك في اللي احنا فيه.

. طب خلاص متعيطش، هما عملوا فيك إيه ؟

. رشوني بملح .

. طب متخافش، وامسح دموعك، وحافظ على ما تبقى من صورة الجن في مُخيلتي .

أجاب "علي المارد" بحزن:

. أنا مش بعيط علشان أنا خايف، أنا بعيط علشان الملح دخل عيني :

نظر "عماد" إلى "سارويل" باستياء:

. بُص يا باشا، "علي المارد" ده أنا معرفوش، ولو عايزين تاخدوه، خدوه .

قاطع "علي المارد" كلام "عماد" بجزع قائلا:

. بتبيعني يا "عماد" ؟

ليصيح "سارويل" غاضبا:

. هدوووء .

ثم أكمل كلامه مُحدثا "عماد":

. كان بإمكاني قتلك، منذ لحظة وصولك للقرية، هل تتذكرني الآن، لقد قابلتك في الأرض الزراعية ؟

أجاب "عماد" متذكرا:

. القطة السودة ؟ وأنا اللي كنت ناوي أغطيك من البرد، وأديلك أكل، صدق اللي قال: "خيرا تعمل، شرا تلقى "

. أَكْل.. وبرْد! لقد تركتك يا صديقي؛ لأني علمت أنك من سيحضر لي الأوراق من البداية، لقد أخفى "فضيلة" الأوراق في مكان لم نستطع دخوله، استخدم تعويذة غبية لإخفائه، يبدوا أنه كتبها على جدران المكان الذي أخفى الأوراق به، يوم وفاته حاولت البحث عن الأوراق في غرفته لم أجدها، يبدو أن صديقك استيقظ وقتها فأسرعت بالرحيل، والآن أعط لي ما اؤتمنتَ على حراسته .

أخرج "عماد" الأوراق من جيب معطفه، نظر حوله، ثم انقض على شعله من النار، أحضرها أحد العمال، لتضيء المكان، وقال له:

. بُص يا معلم.. هاخد منك وعد، إننا نخرج من هنا سالمين واللعنة تنتهي، مش هحرق الورق، ما أخدتش منك الوعد، هولع في الورق وفي المقبرة كلها .

ضحك "سارويل" حتى اهتزت المقبرة، وتساقط التراب من سقفها، ثم وجه كلامه لـ"عماد" قائلا:

. يجب أن تدرك يا صديقي، حجم الخطر الذي تتعامل معه.

نفخ "سارويل" من مكانه في اتجاه "عماد"، فانطفأت الشعلة، وكأنها لم تكن مُشتعلة أصلا، ثم أكمل كلامه قائلا:

. دعني أعرفك أكثر على المقبرة ..

حينما بنيت تلك المقبرة منذ آلاف السنين، تم إطلاق مجموعة كبيرة من اللعنات وعمل الكثير من الأفخاخ، كل منها كان له دور في حمايتها بشكل ما ..

حينما ظهرت المقبرة لعائلة "سيد"، لم يكن خطأ أو سهوًا، تلك المرة لم تكن الأولى من باب العلم بالشيء، فالمقبرة تظهر على فترات متفاوتة، تأخذ بعض الأرواح لأناس حالمين

بدخولها، ثم تعود مرة أخرى لباطن الأرض، فتحافظ بذلك على ذاتها، وتحافظ على ما بها من أسرار، وتظل مقبرة " كا – رع " أقوى مقبرة في تاريخ مصر الفرعونية، بعيدة عن أحلام لصوص المقابر، بعيدة عن المُتطفلين والعابثين .

فتصبح المقبرة موتًا مُحققًا لمن يجدها، وتصبح المقبرة الاختيار الأخير للعابثين واللصوص الذين يعلمون مكانها..

نظر "ساروبل" إلى "فتحي" الذي مازال في الغيبوبة قائلا:

. دخل "فضيلة" المقبرة الفرعونية منذ سنين، وخرج سالما هو ومن معه، لكنه ارتكب الخطأ الذي لولاه لكانت روحه وأروح من معه سالمة!

أشار "ساروبل" للأوراق التي بيد "عماد" قائلا :

. سرق "فضيلة" تلك الأوراق وأخفاها في مكان بعيد عن أعيننا، أدرك أن "فضيلة" من أعظم الرجال الذين دخلوا المقبرة، استطاع الحفاظ على أرواح عائلته وعائلات من دخلوا معه إلى المقبرة، ولكنه الآن غير موجود .

نظر "ساروبل" إلى "عماد" ثم قال بانتصار:

. بدونك لم أكن لأستطيع الحصول على تلك الأوراق مرة أخرى.

أستطيع التغاضي عما حدث خصوصًا أن الأوراق قد عادت إلي، ولكن لن أستطيع منع نفسي من قتل كل من في المقبرة الآن، لم أكن جشعًا اكتفيت بـ 100 شخص، وأغلقت باب المقبرة، هم بالنسبة لي "100 عبيط" لا أكثر ولا أقل، يمكنني أن أتركك تذهب حتى تشعل الأسطورة من جديد، بل أكثر من ذلك، سأعطيك خمس دقائق، لتأخذ كل من تستطيع حمله إلى الخارج، أعتقد أن خمس دقائق كافية، لحمل صديقك "فتحي" إلى الخارج، ما رأيك؟ سأعطيك الوعد الذي تريد، فقط خمس دقائق .

أنهى "سارويل" كلامه وازدادت ابتسامته، ليُفاجأ بـ"عماد" يضحك، سرعان ما صمت، ثم نظر إلى عين "سارويل" بتحدي قائلا:

. خمس دقايق كفاية أكيد.

***

قبل بضعه أيام، في الغرفة السرية بمنزل "فضيلة" ..

يجلس "عماد" على كرسي أمام المنضدة بعدما أزال مِنْ عليهما التراب وأمامه "علي المارد"

تحدث "عماد" إلى "علي المارد"، وهو يقلب الأوراق بين يديه:

. مش فاهم أي حاجة! جداول عاملة زي جداول الإحصاء، رسومات ونقوش جوة الجداول، وكلام مش مفهوم، قلتلي هتفهم من الكتاب ده مفهمتش حاجة .

وأشار نحو كتاب أمامه، , ثم أكمل:

. الجدول شبه الجدول فعلا بس النقوش مُختلفه .

أضاف "عماد" معللا:

. يا "علي" يا حبيبي أنا لا فاهم الحروف اللي في الكتاب، ولا فاهم النقوش اللي في الورق، بعدين الجدول اللي في الورق ده زايد عليه حاجات مش في الكتاب !

قال "علي المارد" بهدوء:

. طيب قوم هاتلي ولعة ورصلي حجر جديد، وأنا هفهمك..

. ولعة، وحجر جديد؟ هتشل! انت فاكر نفسك قاعد مع قهوجي؟ يا "علي" ركز معايا، أنا ابن ناس وربنا، خليتني اشتريلك شيشة وقلت ماشي، لففتني البلد حتة حتة علشان اجيلك معسل موز ملقيتش، جبتلك تفاح مش عاجبك، علمتني أرص المعسل وانا عمري في حياتي ما كنت أتخيل اني أعمل كده، بقالك ساعتين بتشيش، ولابس نفس الشبشب البلاسيتك، حرام عليك يا أخي ارحمني .

. طب خلاص اهدى .

. بتعمل إيه ؟

. هولع سيجارة علشان اركز معاك .

قالها " "علي المارد" " وهو يشعل السجارة، ليقول "عماد":

. انت مش شارب عشرين حجر معسل دلوقتي؟ صحتك ياعم !

. صحة إيه، انت بتكلم ابن أختك؟ أنا خلصت غدا وده الحلو بتاعي، بعدين ده أكل بالنسبة لي مش شرب !

. طيب علشان متتخنش اكتر من كده، اطفي السجارة أبوس ايدك خنقتني !

. طيب خلاص هطفيها، عايز إيه ؟

. عايز أفهم، إيه اللي مكتوب هنا ؟

نظر "علي المارد" إلى الجداول ثم قال:

. بُص يا سيدي، الجداول دي ليها تأثير سيء على الجن.

قاطعه "عماد" قائلا بضيق:

. عرفنا إن ليها تأثير سيء على الزفت، بتشتغل إزاي بقى ؟

أجاب "علي" بنفاذ صبر:

. عن طريق بعض الكلمات اللي بترددها، الجداول اللي في الورق دي، في شبهها بالعربي، عندك في الكتاب، ولكن النسخة العربي دي، تأثيرها أضعف على الجن، اللي مكتوب بخط إيد "فضيلة" في الكتاب ده النطق العربي للكلمات الفرعونية، هتحاول تحفظهم، والجداول اللي في ورق البردي دي هترسمها على الأرض لما تبدأ تقول الكلام ده، فهمت حاجة ؟

. يعني انت بقالك يومين عمال تذل فيا علشان تقولي الكلمتين دول، ما كنت تقول كده من الأول .

قاطعه "علي المارد" موضحا:

. طيب آخر حاجة متنساش تقول اسم "ساروبل ابن شيصان" مكان الفراغ ده علشان تخصه هو بالسحر ده .

تساءل "عماد" بقلق:

. تفتكر هننجح ؟

ليجيب "علي المارد":

. مهما عملت بالورق ده مش هتعرف تقتله، بس هتعرف تشتته شوية، لو حصل حاجة !

***

عودة للمقبرة مرة أخرى ..

نظر "عماد" إلى الرجال مِن حوله، ثم نظر مرة أخرى إلى "ساروِيل"، وضع الأوراق التي بين يديه على الأرض، ثم بدأ "عماد" في تذكر الكلمات التي حفظها عن ظهر قلب، صمت "عماد" قليلا ثم بدأ في الاسترسال.

تفاجأ "ساروِيل" من ثبات "عماد"، والفخ الذي وضع نفسه فيه، أغلق "عماد" عينيه وبدأ في ترديد الكلمات بكل ما أوتي من قوة، ثم فتح عينيه ونظر حوله ليجد أن الوضع مازال كما هو، قاطعه "علي" مِن خلفه قائلا:

. قول اسمه مكان الفراغ اللي قلتلك عليه، هتودينا في داهيه .

عاد "عماد" مرة أخرى في ترديد الكلمات قائلا اسم "ساروِيل ابن شيصان" مضيفا وأتباعه بقوة كبير، تفاجأ "عماد" بصراخ "ساروِيل" الذي هز المكان، انقض "عماد" على الأرض، يرسم النقوش التي حفظها مستكملا ما بدأه من استرسال للكلمات التي حفظها، نظر إلى "ساروِيل" ليجده يترنح ويعود بضع خطوات إلى الخلف .

انكمش جسده وتحول إلى ثعبان، تمايل أكثر من مرة وكأنه سكران، نظر في اتجاه الأرض، ثم اصطدم برأسه بها ليغوص بداخلها، تبعه جسده ثم الذيل .

في تلك اللحظة بدأ الرجال في الإفاقة، كل منهم ينظر إلى الآخر لا يدري ما يحدث، علم "فضيلة" فيما بعد، أن سحر "سارويل" وضع كلا منهم أمام مخاوفه، وأن كلا منهم كان يواجه كابوسًا مُختلفًا عن الآخر .

صاح "عماد" بخوف:

. بسرعة.. اخرجوا من المقبرة بسرعة، اوعى حد فيكم ياخد حاجة معاه .

أسرع "عماد" نحو باب المقبرة، يحاول فتحه، سرعان ما استجاب له، خرج الرجال من المقبرة، تبعهم "عماد" بعدما نظر نظرة أخيرة على المقبرة، والأوراق الملقاة بداخلها ..

خرج ليتفاجأ بنور الشمس، فأغمض إحدى عينيه ووضع يده اليسرى على جبهته، ليحجب الضوء الذي يؤذي عينيه .

نظر "عماد" ليجد نفسه مُحاطا بمجموعة من رجال الشرطة الذين ظلوا في الخارج، ليصيح الضابط "ضياء" المسؤول عن متابعة البلاغ بخصوص المقبرة الفرعونية:

. سيبوه، أنا عايزه .

التفت "عماد" إلى "ضياء" ليجده ملقى على الأرض بجانبه، بعض رجال الشرطة والأهالي الذين كانوا بالداخل معه .

بعض من رجال الشرطة الآخرين يصنعون نصف دائرة موجهين أسلحتهم على الجميع ..

تحدث "ضياء" مُتساءلا بحيرة:

. عايز أفهم إيه اللي حصل جوة دلوقتي، حالا !

قال "عماد" مُنتصرا:

. هتفهم يا باشا .

الفصل الثامن : النهاية

بعد مرور أيام، بدأت الأمور تهدأ فى البلدة، وعادت الحياة لطبيعتها أكثر مما كانت، اختفت حالات قتل الأطفال، وبمساعدة الضابط "ضياء" استطاع "عماد" أن ينهى الأمر كما أنهاه "فضيلة" مع الضابط "شمس" فى المرة الأولى، وكأن التاريخ يعيد نفسه، ولكن هذه المرة لا توجد لعنة خفية تحيط بأهالي البلد .

شعر "عماد" بالسعادة والرضا لإنهاء تلك اللعنة، وقرر أن يظل في العزبة بضعه أيام، حتى يطمئن على أحوالها، كما أنّ جو القرية الهادئ بدأ يساعده على الاسترخاء.

أراد "عماد" أن يلقي نظرة أخيرة على كل جزء من أجزاء القرية، قبل الرحيل ، ذهب "عماد" إلى كوخ "ميلاد"، وجلس أمامه يشرب الشاي الذي لم يشربه في المرة الأولى عندما حضر إلى القرية

تجول فى الأرض الزراعية وبصحبته "فتحى"، حتى وصل للترعه التى جلس أمامها هو و"حسن" فيما سبق، ابتسم "عماد" ثم قرأ الفاتحة لـ"حسن" و"رضا" ثم عاد إلى منزل "فضيلة" .

جلس في مكتب "فضيلة" ومعه "فتحي"، يتحدثان ويضحكان سويًا، عن قصص أخبرها "فضيلة" قبل وفاته لـ "فتحي" .

شعر "عماد" أنّه يريد أن يرى قبر "فضيلة" قبل أن يرحل ، فذهب "فتحي" و"عماد" إلى قبر "فضيلة"، ألقيا عليه السلام.. قرءا له الفاتحة، ثم جلسا سويا أمام قبره، يتحدثان وكأنهما يتكلمان معه عن مغامرتهم، شعر "عماد" أنه رأى "فضيلة" يطل من خلف قبره، فضحك ولم يهتم .

في المساء، قرر "عماد" الرحيل، أراد "فتحي" أن يظل "عماد" معه بضعه أيام أخرى، شكره "عماد" ورفض متعللا، أن والديه على وشك العودة من الخارج، وأّنه يفضل أن يذهب إلى بيته قبل عودتهما ببضعة أيام .

خرج "عماد" من المنزل وطلب من "فتحي" أن يشكر أبويه بالنيابة عنه، عن استضافتهما له.

أراد "فتحي" أن يوصله إلى الموقف الذي سيركب منه للعودة إلى القاهرة ولكن "عماد" رفض مُتحججًا أنه يريد أن يتمشى قليلا وحده .

في طريق العودة، داخل الأرض الزراعية، رأى "عماد" "علي المارد" يقطع الطريق أمامه مُتمددا في الهواء، بطول بناية خمسة أدوار تقريبا .

قال "عماد" مداعبا "علي المارد":

. إيه اللي انت عامله ده، انزل بدل ما حد يشوفك .

انكمش "علي المارد" ثم تساءل ببراءة :

. رايح فين ؟

أجاب "عماد" بهدوء:

. خلاص راجع بيتنا، عملنا الواجب وعزينا الراجل، اللعنة وقفت الحمد لله، ومفيش حاجة تخليني أقعد في البلد أكتر من كده، انت بقى هتعمل ايه ؟

. أنا مش هعمل حاجة، أنا معنديش أهل، وكنت مرافق "فضيلة" من ساعة ما عرفته .

. وأهلك فين ؟!

. يااااه، دي قصة طويلة، عندك وقت ؟

. تعالى نتمشي شوية و احكيلي .

أومأ "علي المارد" برأسه دليلا على الموافقة، ابتسم وهو يسير بجانب "عماد" ثم قال:

***

منذ مئات السنين، كان هناك قبيلة من الجن تدعى "مداح" نسبة إلى "مداح" زعيم تلك القبيلة، فلكل قبيلة من الجن

زعيم، ولكل منها عادات وتقاليد قد تختلف أو تتفق مع قبيلة ثانية، كانت قبيلة "مداح" من القبائل المسالمة، ما يقرب من 1300 فرد يسكنون جميعا على شجرة جوافة في إحدى الأراضي الزراعية .

بجانب تلك الشجرة، كان يوجد شجرة صفصاف يسكن عليها قبيلة أخرى من الجن تدعي "الندابوه" نسبة إلى "نداب" زعيم تلك القبيلة، كانت تلك القبيلة معروفة بقوتها وجبروتها، وفي يوم من الأيام، حدث ما قلب كل الأمور رأسا على عقب.

شاب من الإنس، عُمره حوالي ثلاثون عاما، أحضر والده مساءا، وربطه إلى شجرة الصفصاف ..

كان ذلك الشاب عاقًا وفاسدًا، وكان يريد أن ينتزع من والده قطعة أرض، ليصرف على شهواته ونزواته، وحينما حاول بأكثر من طريقة، أن يجعل والده يتنازل له عن قطعه الأرض، وكان رفضه يصدمه باستمرار، قرر الشاب أن يربط والده إلى تلك الشجرة، عقابا لوالده، وحتى يجبره على التنازل له عن قطعة الأرض في الصباح .

شاهدت قبيلة "مداح" ما يحدث ولكنها لم تتدخل كالعادة في أمور الإنس بأوامر من زعيمها، ما حدث بعد ذلك كان الأصعب ..

قررت قبيلة "الندابوه" على شجرة الصفصاف تلك، أن تقتل الرجل العجوز، كنوع من التسلية ،

حينما وصل الخبر إلى قبيلة "مداح"، قرر زعيمها أن يخرج عن صمته، وذهب إليهم ليمنعهم عن فعلتهم، موضحا لهم، أنه سيخبر ملوك الجن عما ينوون فعله، حتى يعاقبوهم .

ظلم قبيلة "الندابوه" كان كبيرا، وقرروا أن يقتلوا الرجل العجوز، وأن يحاربوا قبيلة "مداح"، وبالفعل أغاروا عليهم في نفس الليلة، فطلب "مداح" من "علي المارد"، أن يذهب ليخبر ملوك الجن عما يحدث ..

قطع "علي المارد" طريقا طويلا، حتى وصل إلى ملوك الجن، وبالفعل أخبرهم عما يحدث، ليرسلوا معه جيشًا كبيرًا، لمحاربة "الندابوه" والقبض عليهم، ولكن للأسف، حينما وصلوا لم يكن هناك وجود لفرد واحد من قبيلة "مداح" على وجه الأرض، بخلاف "علي المارد" .

***

. طب والراجل العجوز؟

قالها "عماد" ليجيب "علي المارد" بأسى:

. هو ده اللي هَمَّك؟ قتلوه برضو .

. لا حول ولا قوة إلا بالله! وبعدين ؟

. اتحكم على رئيس القبيلة بالقتل، وباقي القبيلة بالنفي، واتحكم على ابن الراجل العجوز من قبل الإنس بالإعدام، ومن وقتها وأنا لواحدي .

أضاف "علي المارد":

. في وقت من الأوقات كنت بخاف من الإنس، وبعدين الموضوع بقى عادي، لما اتعرفت على "فضيلة".

. وهتعمل ايه دلوقتي ؟

. منا قلتلك كنت مرافق "فضيلة" من وقت ما لقيته ..

نظر "علي المارد" إلى "عماد" اتسعت عيناه ثم قال بسعادة:

. بقولك ايه يا "عماد"، أنا حبيتك، مش هسيبك، انت من النهاردة رفيقي .

ابتسم "عماد" قائلا:

. أنا كمان حبيتك، ومعنديش مانع تبقى رفيقي، انت اسمك إيه صحيح ؟

. اسمي "أرانوخ" .

. لا خلينا في "علي" أحسن وألطف .

صمت "عماد" قليلا ثم قال:

. حيث اننا بقنا أصحاب، والفترة الجاية هنبقى مع بعض كتير، أنا كمان عندي حاجة عايز أقولهالك، ممكن تعتبرها سر؟

. سر إيه ؟

. فاكر الورق اللي احنا وديناه المقبرة ؟

. أكيد طبعا .

أخرج "عماد" هاتفه المحمول، بدأ في البحث عن شيء ما ثم قال:

. فى يوم وانت بره الأوضه، وأنا بحفظ الكلمات اللى انت قولتلى عليها، صعب عليا، إنى أرجع الورق للمقبرة من غير ما اخد نسخة منه، علشان كده صورت الورق ده بكاميرة التليفون بتاعي .

قالها "عماد" مُشيرا إلى صورة إحدى الأوراق على شاشة هاتفه المحمول، لتتسع عينا "علي المارد" من هول المفاجأة، نظر بعدها خلف "عماد":

التفت "عماد" ينظر وراءه، ليجد دوامة تنبت من الأرض، تدور بشكل كبير، ليتطاير جزء كبير من المحاصيل حولها .

توقفت الدوامة، وبدأ التراب المتطاير في الجو، ينقشع رويدا رويدا، ليُفاجأ "عماد" بآخر شخص يتمنى أن يراه في حياته يظهر من خلف ذلك التراب .

. سارويل!

قالها "عماد" مُتفاجئًا، ليجيب عليه "ساوريل":

. تمنيت أن ترتكب خطأ واحدًا يسمح لي أن أقتلك، لا غفران هذه المرة، ولا بديل لقتلك، لقد انتهت اللعنة عن تلك البلدة، ولكن روحك أصبحت لي .

قالها "سارويل" ثم اختفى، ليدرك "عماد" أن رحلة لـ" 100 عبيط" ...

هي

مُجرد

البداية!!

إيضاح

هذا العمل تمت كتابته على فتراتٍ متفاوتةٍ، تطَوَّرت القصة من مُجردِ قصةٍ قصيرة قصيرة من مجموعةٍ قصصيةٍ تحمل هذا الاسم، إلى روايةٍ كاملةٍ هي بين يديك الآن، حَاولتُ أَنْ أربطَ بينَ فصولِه ليخرجَ بهذا الشكل، قد تتفق مع أسلوب كتابته، وقد تختلف، في جميع الحالات، هي محاولة مني لسردِ حكاية بأسلوب بسيط.

اتخذتُ حَقي في الكتابةِ.. وأتقبلُ رأيك في النقدِ مهما كان..

شكر خاص لجروب " عصير الكُتب " ، بيتي التاني المكان اللى غيرني من وقت ما دخلته

شكر خاص لجميع أعضائه والعاملين عليه .

إصدارات أخرى للدار

- الروحاني .. أحمد الملواني
- إيماچو .. دعاء عبد الرحمن
- كيغار .. منى سلامة
- ديوان مش من هنا - نوره واصف


عصير
الكتب
للنشر و التوزيع


عصير
الكتب
للنشر و التوزيع